GIEM

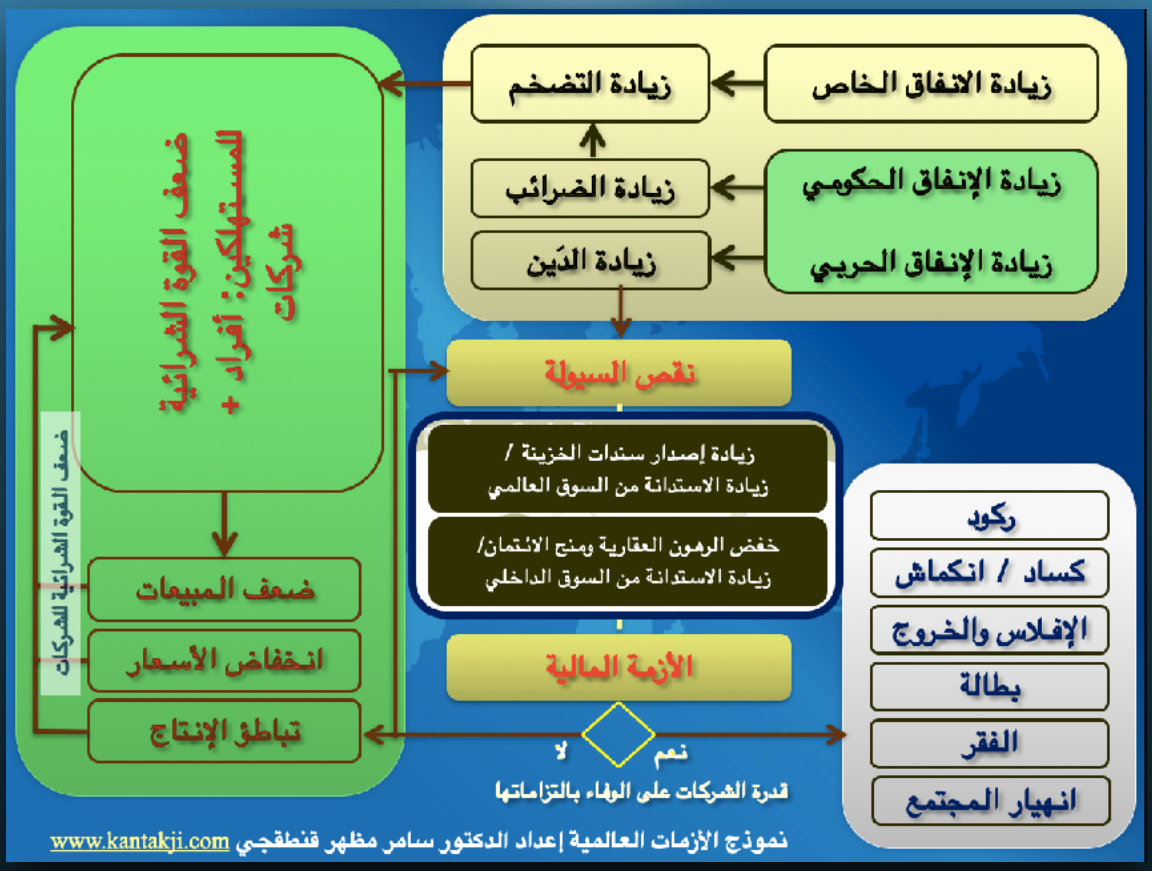

العقلية التضخمية

ومعنويات المستهلكين في اقتصاد التضخم الركودي

مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

مجلة شهرية علمية تعنى بشؤون الاقتصاد الإسلامي وعلومه

تصدر إلكترونيًا عن مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية

وهي وقف لوجه الله تعالى

هيئة تحرير المجلة

- الدكتور سامر مظهر قنطقجي: رئيس التحرير.
- الدكتور على محمد أبو العز: الجامعة الأردنية، البنك الإسلامي الأردني - الأردن.
- الدكتور عامر محمد نزار جلعوط: دكتوراه في الاقتصاد المالي الإسلامي - سورية.
- الأستاذ حسين عبد المطلب الأسرج: كاتب وباحث اقتصادي مستقل - مصر.
- الدكتور أحمد ولد احمد سيدي: المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية- موريتانيا.

أسرة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الدكتور سامر مظهر قنطقجي / رئيس التحرير

مساعدو التحرير:

- الدكتورة مكرم مبيض / مساعدة التحرير – مدرسة المحاسبة في جامعة حماة.
- الأستاذ إياد يحيى قنطقجي / مساعد تحرير الموقع الإلكتروني – ماجستير اقتصاد / اختصاص نظم تعليم إلكترونية.
- الأستاذة آلاء ديدح / مراجعة – ماجستير مهني اختصاص مصارف إسلامية.
- الأستاذة هاجر الحاج حسن / مراجعة لغوية – لغة عربية.
- الأستاذة جمانة محمد مراد / مدرسة اللغة العربية في ثانويات حماة.

الإخراج الفني: فريق عمل مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية www.kantakji.com

إدارة الموقع الإلكتروني: Kantakji-tech

الهيئة الاستشارية للمجلة

1	د. عيسى بدروني	دكتوراه علوم تجارية ومالية	أستاذ جامعي	الجزائر
2	د. عائشة بوعامر	دكتوراه اقتصاد	أستاذة باحثة	الجزائر
3	د. سناء أمزال	دكتوراه فقه المعاملات المالية	أستاذة التعليم الثانوي	المغرب
4	د. علي أحمد شيخون	دكتوراه محاسبة	أستاذ جامعي	مصر
5	د. فؤاد بن حدو	دكتوراه إدارة أعمال ومالية	أستاذ جامعي	الجزائر
6	د. فاطمة الزهراء بلحسين	دكتوراه اقتصاد	أستاذة جامعية	الجزائر
7	د. فاطمة الزهراء بن شعيب	دكتوراه اقتصاد	أستاذة جامعية	الجزائر
8	د. مجدي أنور قيطنة	دكتوراه إدارة أعمال	أستاذ جامعي	الكويت
9	د. محمد تاجي	دكتواره اقتصاد لإسلامي	مدقق شرعي	سوريا
10	د. محمد طه احمد عبد الموجود	دكتوراه إدارة فنادق	أستاذ جامعي	مصر
11	د. محمد مروان شموط	دكتوراه محاسبة إسلامية	مستشار مالي	الأردن
12	د. خيرة مسعودي	دكتوراه اقتصاد	أستاذة باحثة	الجزائر
13	د. مصطفى ناطق مطلوب الناصري	دكتوراه قانون تجاري	أستاذ جامعي	العراق
14	د. منى لطفي بيطار	دكتوراه اقتصاد	أستاذة جامعية	سوريا
15	د. صلاح الدين خرج البريكي	طالب دكتوراه تمويل إسلامي	أستاذ جامعي	ماليزيا
16	د. مصطفى أماخير	طالب دكتوراه مالية إسلامية	أستاذ التعليم الثانوي	المغرب
17	محمد الشيخ بكري	ماجستير مالية إسلامية	مدير قسم خدمة الزبائن	سوريا
18	محمد سراج خلاط	ماجستير اقتصاد	أستاذ جامعي	ليبيا
19	منير عبد العزيز	ماجستير اقتصاد إسلامي	مدرب معتمد	تركيا
20	نبيل صبحي أبو زيد	ماجستير اقتصاد	مدير مالي	مصر
21	نشوه عز الدين حمود	ماجستير علوم مالية ومصرفية	أستاذة جامعية	سوريا
22	هاني محمد بشار الطويل	بكالوريوس اقتصاد	محاسب مالي	العراق

تم ترتيب أسماء السادة أعضاء الهيئة الاستشارية حسب الدرجة العلمية ثم حسب الترتيب الأبجدي للأسماء

شروط النشر

- تدعو أسرة المجلة المختصين والباحثين والمهتمين إلى نشر علوم الاقتصاد الإسلامي وتأسيسها لإثراء صفحات المجلة بنتاجهم العلمي والميداني؛ سواء اللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الفرنسية.
- تقبل المجلة المقالات والبحوث النوعية في تخصصات الاقتصاد الإسلامي جميعها، وتقبل المقالات الاقتصادية التي تتناول الجوانب الفنية ولو كانت من غير الاقتصاد الإسلامي. وتخضع المقالات المنشورة للإشراف الفني والتدقيق اللغوي.
- تعتبر الآراء الواردة في مقالات المجلة معبرة عن رأي أصحابها، ولا تمثل رأي المجلة بالضرورة.
- المجلة منبر علمي ثقافي مستقل يعتمد على جهود أصحاب الفكر المتوقد والثقافة الواعية للمؤمنين بأهمية الاقتصاد الإسلامي.
- ترتبط المجلة بعلاقات تعاون مع مؤسسات وجهات إسلامية وعالمية لتعزيز البحث العلمي ورعاية وإنجاح تطبيقاته العملية، كما تهدف إلى توسيع حجم المشاركات لتشمل الخبراء البارزين والفنيين والطلبة المتميزين.
- يحق للكاتب إعادة نشر مقاله سواء ورقيا أو إلكترونيا بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير مع ضرورة الإشارة لذلك.
- توجه المراسلات والاقتراحات والموضوعات المراد نشرها باسم رئيس تحرير المجلة على البريد الإلكتروني: رابط.
- لمزيد من التواصل وتصفح مقالات المجلة أو تحميلها كاملة بصيغة PDF يمكنكم زيارة موقعها، أو التفاعل على صفحتها على الفيسبوك، حيث يمكنكم الاشتراك والمساهمة في نشر الأخبار.
- قواعد النشر: – تتضمن الصفحة الأولى عنوان المقال واسم كاتبه وصفته ومنصبه، – عند الاستشهاد بالقرآن الكريم، تكتب السورة والآية بين قوسين (وننصح بالاستعانة بالرابط)، أما الحديث النبوي فيصاحبه السند والدرجة (صحيح، حسن، ضعيف) (وننصح بالاستعانة بالرابط)، – يجب أن يكون المقال خاليًا من الأخطاء النحوية واللغوية قدر الإمكان، ومنسقًا بشكل مقبول، ويستخدم نوع خط واحد للنص – العناوين الفرعية والرئيسية تكون بنفس الخط مع تكبيره درجة واحدة ولا مانع من استخدام تقنيات الخط الغامق أو الذي تحته سطر، والمجلة ستقوم بالتدقيق اللغوي والتنسيق على أي حال – الصفحة قياس A4 بهوامش عادية Normal يستخدم فيها الخط Traditional Arabic بقياس ١٦ – ويترك فراغ بين الأسطر بقياس ١.٢، ولا يوضع قبل علامات الترقيم فراغات بل توضع بعدها، أما نوع خط الحواشي فهو Times New Roman بقياس ١١.

رؤية المجلة

منصة علمية تجمع الخبراء وأصحاب الأقلام الواعدة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

سعيًا نحو اقتصاد رشيد وعادل..

ونحو تفعيل الإفصاح والشفافية سعيًا لانضباط السوق وتحقيق العدالة فيه..

تعنى مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية؛ بالاقتصاد الإسلامي وعلومه؛ كالاقتصاد، وأسواق المال، والمحاسبة، والتأمين التكافلي، والتشريع المالي، والمصارف، وأدوات التمويل، والشركات، والزكاة، والمواريث، والبيوع، من وجهة نظر إسلامية، إضافة إلى دراسات مقارنة.

وكل ذلك ضمن إطار فقه المعاملات.

لرعاية المجلة أو للإعلان فيها

https://giem.kantakji.com/contact-us/

إعلان هام للسادة الناشرين

بحمد الله تجاوز عدد الناشرين في المجلة وموقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية ٩٣٩ ناشرًا.

وصارت المؤلفات المنشورة التي تخص كل ناشر في (المجلة أو موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية) مجموعة تحت رابط يخصه؛ بمثابة مكتبته الخاصة، لذلك:

- يمكن لكل ناشر توزيع الرابط لمن شاء للوصول إلى مكتبته التي تضم مؤلفاته ومنشوراته،
- إرسال مزيد من المنشورات التي تخصه لوضعها ضمن مكتبته (قائمة المنشورات الخاصة به) لتكون متاحة إلكترونيًا.

المطلوب من الإخوة الناشرين – لمن أراد ذلك – إرسال اسمه بالإنجليزية nickname لتسهيل عملية الضبط من طرفنا، وسهولة الوصول لمكتبته، مثال ذلك؛

للوصول لمكتبة (الدكتور سامر مظهر قنطقجي)، فإن الرابط هو:
https://kantakji.com/tag/kantakji/

للوصول لمكتبة (الدكتور عبد الباري مشعل)، فإن الرابط هو:
https://kantakji.com/tag/Abdulbari-Mashal/

للوصول لمكتبة (الدكتور عبد الحليم غربي)، فإن الرابط هو:
https://kantakji.com/tag/aagharbi/

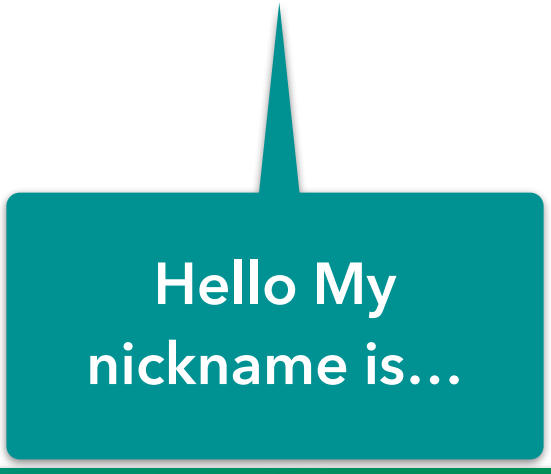

نحو بناء أكبر قاعدة بيانات في العالم
لباحثي الاقتصاد الإسلامي ومؤلفاتهم

فهرس المحتويات

رؤية المجلة ٥

إعلان هام للسادة الناشرين ٦

فهرس المحتويات ٧

صورة فوتوغرافية لمدينة حماة عند الفجر ٩

العقلية التضخمية ١٠

ومعنويات المستهلكين في اقتصاد التضخم الركودي

د . سامر مظهر قنطقجي

اختبار تطور مصطلح كفاءة السوق في الأسواق المالية العربية ١٧

(ملخص دراسة مترجمة)

رحاب عادل صلاح الدين أمين

المزيد من البنوك المركزية الأفريقية تستكشف العملات الرقمية ٢١

ترجمة : د . سامر مظر قنطقجي

نووية الأخلاق الإسلامية في الاقتصاد والحياة ٢٤

عثمان المودن

أهمية توظيف اللغة العربية في التدريس ٣٨

من أجل تجويد مخرجات العملية التعلمية

حافظ لصفر مزداد

مواريث النِّساء في الإسلام ٥١

جمانة محمد مراد

De la microéconomie irrationnelle : Analyse de l'équilibre du consommateur dans les cas où le revenu disponible du consommateur dépasse la quantité de biens consommés ٦٦

LAKHYAR ZOUHAIR

MOUTTAKI HLAL

أشكال الصيّغ التمويليّة في الاعتماد المستندي للبنوك الاسلاميّة ٧٠

د . فؤاد بن حدو

PROS & CONS OF CORRESPONDENT BANKING ٨١
Dr. AbdelGadir Warsama

قياس كفاءة تشغيل رأس المال العامل ٨٣
أوهاج بادنين عمر

هدية العدد: كتاب – إضاءات في القانون الدولي ٨٦
دراسة مقارنة وشاملة بين القانون الدولي والشرع الإسلامي
لمؤلفه: حمزة عبد الرحمن عميش

صورة فوتوغرافية لمدينة حماة عند الفجر

العقلية التضخمية

ومعنويات المستهلكين في اقتصاد التضخم الركودي

د. سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

@ FB , LinkIn , Youtube

تُعدُّ محاربة التضخم مهمة من مهام المصارف المركزية بصفتها أحد أهم واضعي السياسات، فكلما بقيت معدلات التضخم منخفضة ومستقرة زادت الثقة في الاقتصاد، والعكس بالعكس.

إن التضخم هو حالة مرضية، حيث تزداد الدخول الاسمية، وتنخفض الدخول الحقيقية، ليلتهم التضخم تلك الزيادات الاسمية مع استمرار انخفاض الدخول الحقيقة بما تمثله من سلع وخدمات، إنه اللص الخفي الذي يسرق الثروات ويبددها، وكلما تقاعست المصارف المركزية عن أداء هذه المهمة بتقديم الحلول؛ اعتبرت متواطئة في إفقار الناس وتدمير ثرواتهم.

يقيس بعض المراقبين تطور الأسعار المحلية بالأسعار المحيطة باعتبارها أسعار الظل؛ والحقيقة أنه تهرب من الاعتراف بنسب التضخم المحلية بغية تسكين الحالة العامة للمستهلكين وضبط معنوياتهم، ولا يمثل ذلك إلا تسويغًا لفشل السياسات الاقتصادية والنقدية والمالية المحلية.

فالقياس ينبغي أن يكون بشكل متحرك (نسبة للزمن) لتوضيح حركة الأسعار الصاعدة أو الهابطة، ثم يتلوه القياس السكوني (أي بجعل الزمن ساكنًا) لمقارنته بغيره من الأقران وخاصة الأسواق المحيطة.

وعليه ففي ظل الاقتصاد الوصفي يعدُّ الكلام عن الحالة الاقتصادية كلامًا إنشائيًا لا دليل يثبته، لأنه أشبه بمسكِّنٍ وقتي لإخفاء الألم الحقيقي، بانتظار مصادفة أو بانتظار

انفجار الفقاعة.

لذلك ينبغي تقديم بيانات التضخم كتقارير ضمن قواعد الإفصاح والشفافية، وعدم التغاضي عن الحالة الراهنة مهما كانت سيئة؛ فمعنويات المستهلكين تُبنى على مدى استنزاف الأسعار لمدخراتهم، وهم يشعرون بحقيقة الوضع ومآلاته حتى لو تقاعست الحكومة أو الخبراء عن القيام بدورهم الصحيح بنشر البيانات الصادقة. وقد ترافق هذه المعنويات الاقتصاد الوصفي، كأن يقول قائل: الأسعار تزداد يومياً أو أسبوعياً، لذلك فحقيقة الأمر أن المستهلكين لديهم اقتصاداً كمياً خاصاً بهم، وهم يستشعرون تدني قيمة النقود التي يحملونها ويلحظون هبوطها أمام تصاعد أسعار السلع والخدمات المرنة منها، وغير المرنة. وتزداد حدة المشكلة في الاقتصادات ذات التضخم الركودي المتسارع كالاقتصاد السوري واللبناني وأمثالهما من الاقتصادات المحاصرة، وبما أنها أسواق تفتقد الإفصاح والشفافية؛ فإن جهاز الرقابة يكون معطلاً مما يسمح بمزيد من فساد الأسواق فيها، ومما يجعل التغير في معنويات المستهلكين تغيراً شبه يومي.

أما في الاقتصادات القوية والناشئة؛ فإن نشر بيانات أسعار المستهلكين يكون شهرياً ودورياً، مما يسمح للمستهلكين ببناء توقعات إيجابية أو سلبية. فإن استمرت البيانات في ترسيخ صعود التضخم ومؤشراته، فإن عقلية تضخمية تتحكم بسلوكياتهم، وهذا هو حال الاقتصادات ذات التضخم المستمر أيضاً.

إن سلوكيات المستهلكين تتغير كرد فعل على ما سبق من خلال تغير أشكال إنفاقهم؛ بحيث:

- ينخفض إنفاقهم على السلع المعمرة لزيادة أسعارها بنسب قد تتجاوز معدلات التضخم، إلا أن البعض من أصحاب المدخرات يزيد من مشترياتها لتفادي انخفاض قيمة مدخراتهم.
- ينخفض إنفاقهم على السلع غير المعمرة وخاصة غير المرنة منها، كالغذاء والوقود واللوازم المنزلية التي ترتفع أسعارها، مما يؤثر على منحنى احتياجاتهم الضرورية.
- يرتفع إنفاقهم على الخدمات التي تزداد أسعارها؛ كتذاكر الطيران، والرحلات السياحية، والرعاية الصحية، والإسكان، والتعليم، وخدمات الحلاقة وما شابهها، والصيانة بمختلف أنواعها.

لقد رأت جامعة ميشيغان[1] أن التضخم المرتفع في الولايات المتحدة هو تضخم مرتفع بعناد – أي دون تراجع أو توقف –، فقد كانت توقعات المستهلكين حصول تضخم بحدود ٣.٣٪ على مدى ١٥ سنة

[1] The Economist, America's inflation headache gets worse, Jun 13th 2022, Link

قادمة، لكن ازدياد التضخم بنسبة شهرية بحدود ٣٪ عن الشهر السابق، أدى لبلوغها ٩٪ في شهري أبريل ومايو، وهذه نسبة مرعبة حسب الدراسة الاستقصائية، والشيء نفسه حاصل في الاقتصادات الألمانية واليابانية والاسترالية وغيرها، وهذا هو حال الاقتصادات المصابة بارتفاع تضخمي **يومي** بنسب تتجاوز تلك النسبة الشهرية.

إن الاقتصاد الذي تتجاوز نسب تضخمه الشهرية ٦–٧٪ يوصف بأنه فاقد للسيطرة على التضخم، كما وصفت مجلة الايكونومست حال الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، عندما تجاوزت نسبة التضخم في مارس الماضي ٨.٥٪ عن العام السابق، واعتبرته المجلة أسرع ارتفاع سنوي منذ عام ١٩٨١، وهذا ما حدا ب ٢٠٪ من الأمريكيين للاعتقاد بأن التضخم هو أهم مشكلة في البلاد[1]؛ فكيف يوصف الاقتصاد الذي أصابه التضخم بنسب عشوائية بأضعاف مضاعفة تتجاوز ١٠٠٠٠٠٪ وأكثر؟

وتزداد حدة المشكلة عندما تلجأ البنوك المركزية إلى سياسة التشديد النقدي لامتصاص السيولة السوقية في مرحلة التضخم؛ عند ذلك سرعان ما تنعكس هذه السياسة على إضعاف النمو لذلك تتجه البورصات نحو انخفاض مؤشراتها، وتجعلها تتجه نحو اللون الأحمر كلما زادت حدة بيانات التضخم المنشورة، وقد انخفض مؤشر الأسهم الرئيس في وول ستريت S&P500، بنسبة ٥٪ منذ صدور بيانات التضخم. وكذلك فعلت أسهم التكنولوجيا، كأمازون وتسلا، وصارت عمليات بيع أسهمها أكثر حدة، وفي الوقت نفسه شهدت بعض الأصول عالية المخاطر، مذبحة أسوأ بكثير من الأسهم؛ فانخفض سعر البيتكوين بأكثر من ١٠٪ في ١٣ يونيو بعد أن أوقفت شركة إقراض العملات المشفرة Celsius، جميع عمليات السحب من منصتها بسبب ظروف السوق.

وإن من صور التشديد النقدي التي تلجأ لها البنوك المركزية هو رفع سعر الفائدة الربوية، وهذا مؤداه وقوع الاقتصاد في حالة تضخم تجعل سلوكه سلوكًا غير سويّ لأنه يصير متخبطًا، وقد شبهه الله تعالى بمن مسه الشيطان فيكون متخبطًا، يقول الله تعالى: **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** (البقرة: ٢٧٥)، وفي دراسة[2] قام بها فريدمان على الاقتصاد الأمريكي في بداية

[1] The Economist, Why the Federal Reserve has made a historic mistake on inflation, Apr 23rd 2022, Link

[2] Friedman, M., The yo-yo U.S. Economy ,Newsweek, Feb 1982. p. 4.

ثمانيات القرن الماضي تساءل فيها عن أسباب السلوك الطائش الذي لم يسبق له مثيل للاقتصاد الأمريكي، وتوصل إلى أن هذا السلوك الطائش إنما يساوي أسعار الفائدة.

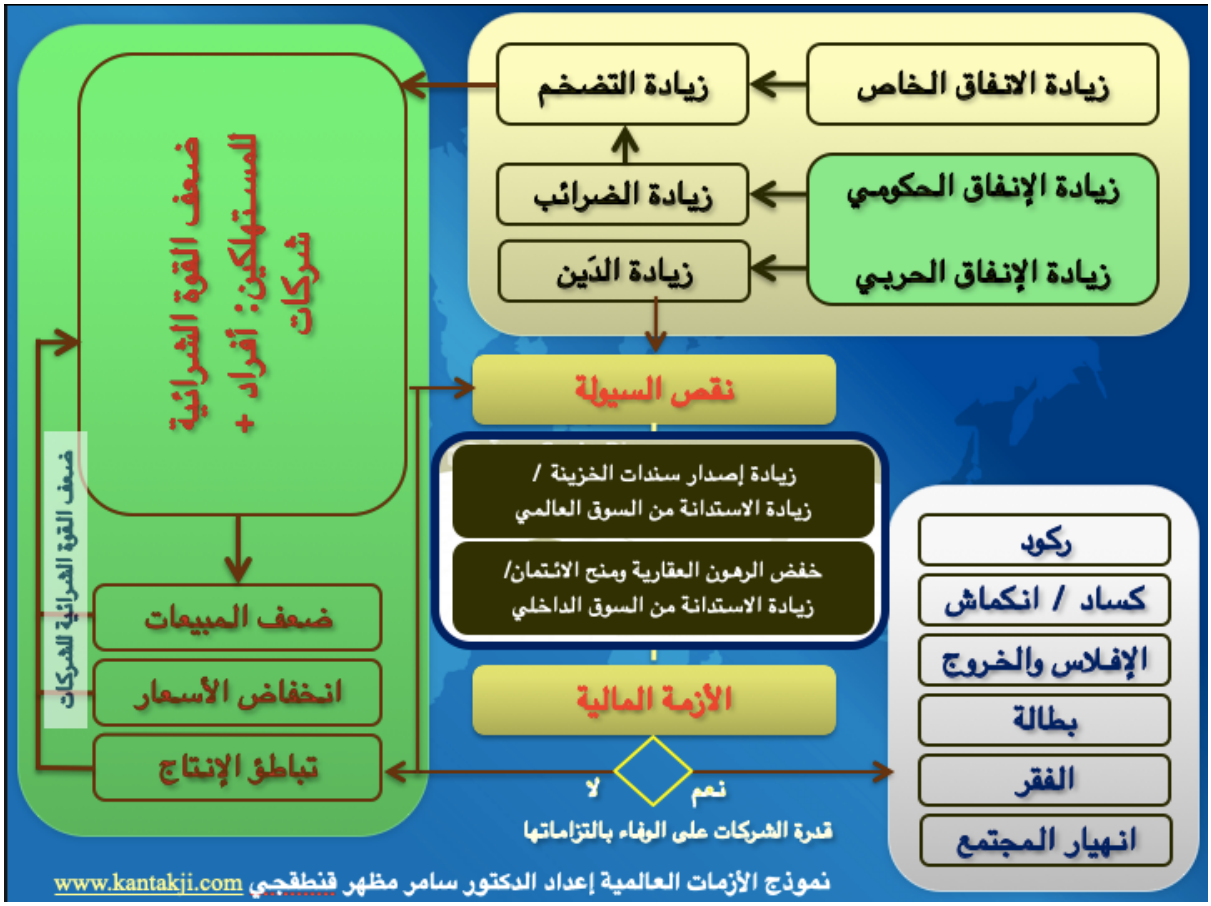

نموذج الأزمات المالية العالمية الذي نشرناه في ٢٠٠٨.

وتعتبر أزمة وباء كوفيد ١٩ والحرب الأوكرانية التي تلتها، مسؤولتان عن ٧٥٪ من الارتفاع السنوي للتضخم في عام ٢٠٢١؛ فقد بلغ ارتفاع الأسعار السنوي في منطقة اليورو نسبة ٧.٥٪ وفي بريطانيا ٧٪ وهذا دليل على وجود مشكلة عالمية، منذ الغزو الروسي لأوكرانيا مدفوعاً بارتفاع أسعار الطاقة والغذاء.

إن ما سبق، أدى إلى إيجاد (عقلية تضخمية) انعكست على سلوك المستهلكين والمنتجين وغيرهم، ويمكن ملاحظة ذلك كالآتي:

العقلية التضخمية ونقل العبء للمستهلكين: تواصل الحكومات والشركات تحميل تكاليف الارتفاعات في أسعار المواد وأجور الموظفين للمستهلكين، مما يُسرّع من معدلات التضخم بزيادة أسعار البيع، وهذا ما توضحه بيانات مؤشر بيانات المستهلكين CPI الشهرية.

من جهة أخرى[1]، تسارع الشركات بزيادة تخزين مواد مدخلاتها لمواجهة الزيادات في الأسعار ونقص وفرة المواد، بالتوازي مع الزيادات المتوقعة في الطلبات الجديدة، مما يزيد من ارتفاع مشتريات الشركات بوتيرة حادة، متأثرة بتوقعات زيادة الأسعار ونقص المواد. وهذا يوسع حجم مخزونات ما قبل الإنتاج بمعدلات مرتفعة مع استمرار انكماش مخزونات السلع تامة الصنع، وهذا ما أوضحه تقرير مؤشر مديري المشتريات PMI.

وتترافق زيادة تخزين المواد الأولية من قبل المنتجين وانكماش مخزونات سلعهم التامة، مع زيادة تخزين تجار التجزئة للسلع التامة، وإقبال المستهلكين بدافع الخوف على زيادة مشترياتهم من السلع التامة وادخارها في بيوتهم، وكل ذلك مؤداه تحرك الأسعار كرد فعل تضخمي، وهذا ما يشكل جزءاً من العقلية التضخمية، الذي ينتهي به الأمر إلى جعل التضخم حالة أسوأ. وقد أنبأنا القرآن الكريم عن بعض معجزات نبي الله عيسى عليه السلام بمعرفته بما يتم ادخاره في البيوت، يقول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** (آل عمران: ٤٩)

ويعتبر صعود أسعار الذهب في ختام جلسة الجمعة ١٠-٦-٢٠٢٢ مدفوعاً بالمخاوف من خطر الركود بعد تعثر جهود الفيدرالي الأمريكي كبح جماح التضخم في السوق الأمريكية؛ مقياساً واضحاً، فالذهب الذي يلمع دائماً، هو الملاذ الأخير للمستثمرين الذين يريدون المحافظة على قيمة مكتنزاتهم، فالثمنية في الذهب قد جعلها الله خِلقة فيه، وهذا ما يدعو لتجديد الدعوة كل حين للعودة إلى نظام الذهب، وآخرها ربط الروبل الروسي بالذهب إثر الحرب الأوكرانية (كما ذكرنا في غير مقال)، وهذا ما عزز سعر صرف الروبل عالمياً بعد ربط مبيعات النفط والغاز الروسيين بالروبل.

العقلية التضخمية لدى المصارف المركزية: تعتبر إدارة الفيدرالي الأمريكي نموذجاً على ذلك، فقد ذكر رئيس بنك الاحتياطي الفيدرالي في سانت لويس، جيم بولارد[2] أنه: كلما استطعنا تحمل المزيد، وكلما تمكنا من السيطرة على توقعات التضخم، كنا أفضل حالاً، ثم توقع استمرار الوضع الحالي للأعوام ٢٠٢٣ و ٢٠٢٤، مما يدلّ على رسوخ عقلية القبول بالواقع وصعوبة تغييره.

[1] Wolf Richter, US Manufactures: Inflation Is “Out of Control,” Has Not Peaked, but “Intensified” amid Strong Demand, Shortages, and Lengthening Lead Times, May 2, 2022.
[2] St. Louis FED., Inflation US Economy Growth, 26-05-2022, Central Banker Newsletter, Link

مدير مجموعة آفاق التنمية في صندوق النقد الدولي يتحدث الآفاق الاقتصادية العالمية – ١٥-٦-٢٠٢٢

الاستطلاعات وقياسات الرأي والعقلية التضخمية: أظهر مسح للاحتياطي الفيدرالي في نيويورك لتوقعات المستهلك[1] SCE أن نسبةً أكبر من المستهلكين تتوقع تضخمًا مرتفعًا بعد ثلاث سنوات من الآن، بينما تتوقع نسبة متزايدة من المستطلع آرائهم تضخمًا منخفضًا وحتى انكماشًا.

ومازال المسح يُجري بحوثًا جديدة لفهمٍ أفضل للعوامل التي تقود هذه التغييرات والتي قد **تتحول إلى معتقدات أو مسلمات لدى المستهلك**.

عقلية إدارة الأعمال في ظل التضخم الركودي[2]: عندما يجتمع ارتفاع حدة التضخم مع ضعف نسب النمو؛ فهذا ما يسمى بالتضخم الركودي ويوصف بالمزيج السام، وتزداد مساوئه إذا ترافق برفع أسعار الفائدة.

تتمثل المهمة الأساسية لأي إدارة في دفاعها عن التدفقات النقدية وهوامشها، وهي التي يفضلها المستثمرون على نمو الإيرادات عندما تتعثر الأمور، كحال الأسواق منذ أزمة ٢٠٠٨.

[1] Liberty Street Economics, What do consumers think will happen to inflation, New York FED., 2022/05, Link
[2] The Economist, How to run a business at a time of stagflation, Jun 8th 2022, Link

إن الشركات تركز على زيادة تدفقاتها النقدية بالقيمة الحقيقية إن رغبت في إيجاد قيمة للمساهمين ضمن هكذا بيئة خطرة. مما يعني إيجاد مزيج (من خفض النفقات ونقل تضخم التكلفة إلى العملاء) دون تقليل حجم المبيعات. إلا أن خفض التكاليف ليس أمراً سهلاً، فأسعار السلع وأجور النقل والعمالة مرتفعة، يضاف إليها قيود سلاسل التوريد التي يتوقع لها أن تستمر في التراجع في الأشهر القادمة، لكن من شبه المؤكد أن الاضطرابات ستستمر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يصعب رفع الأسعار دون إعاقة الطلب في ظل البيئة السائدة، وهذا أمر تعلمه الشركات تماماً. وعلى كل حال، فحتى لو أبقوا الإيرادات والتكاليف تحت السيطرة، فإن التضخم يجعل الميزانية العمومية غير معبرة بشكل صحيح الوضع المالي.

لقد صار الأمر يتطلب تحكماً أكثر صرامة في صافي رأس المال العامل (الأصول المتداولة مطروحا منها الخصوم المتداولة). وقد أخطأت فعلا العديد من الشركات الكبيرة في تقدير الطلب على منتجاتها، فعملاق التجزئة وول مارت خسر ما يقرب من ٢٠٪ قيمة الشركة السوقية (أي حوالي ٨٠ مليار دولار)، في منتصف شهر مايو، بعد أن أبلغت عن ضغوط في التدفق النقدي ناتجة عن تراكم فائض للمخزونات المرتفعة للعام الثالث. كما أصدرت شركة تارجت في السابع من يونيو، وهي المنافسة الأصغر لوول مارت في مجال البيع بالتجزئة، تحذيراً من أن هامش التشغيل الخاص بها سينخفض من ٣.٥٪ في الربع الأخير إلى ٢٪ في الربع الحالي، حيث تقوم بحسم البضائع لتصفية مخزوناتها الفائضة.

والنتيجة؛ زيادة الاهتمام بدوران المدفوعات أكثر من غيره من الدورانات.

وفي هذه الظروف يتفاخر كثير من الرؤساء التنفيذيين بارتفاع نمو إيراداتهم الاسمية، وهذا مؤداه التأثير على قرارات الاستثمار، إلا أنه يجب التنبه إلى حجم المكافآت التي سيتم صرفها، فهي ما يُركز عليه أولئك الرؤساء أكثر من أي شيء آخر بعيداً عن ضوابط الحوكمة في غالب الأحيان.

وتعتبر رسالة وارن بافيت إلى المساهمين في عام ١٩٨٠ بمثابة قيد مالي ومقياس حقيقي؛ **فالأرباح يجب أن ترتفع بما يتناسب مع الزيادات في مستوى السعر دون زيادة رأس المال المستخدم، خشية أن يتآكل رأس مال المستثمرين.**

حماة (حماها الله) في ٢١ ذي القعدة ١٤٤٢ هـ الموافق ٢١ حزيران يونيو ٢٠٢٢ م

اختبار تطور مصطلح كفاءة السوق في الأسواق المالية العربية

(ملخص دراسة مترجمة)

رحاب عادل صلاح الدين أمين

مدرس مساعد بمعهد المدينة العالي للإدارة والتكنولوجيا بشبرامنت

حاولت معظم الدول العربية إعادة النظر في دور البورصات منذ مطلع التسعينات، بهدف تنشيط الأسواق غير النشطة علي سبيل المثال: مصر، السعودية، الكويت. وإطلاق أسواق جديدة مثل: أبو ظبي، ودبي، لتحفيز النمو الاقتصادي، وتعزيز التكامل الدولي، ومع ذلك تم تحقيق تطور طفيف في عدد الشركات التي تم تسجيلها في هذه البورصات.

إنه لقياس مدى كفاءة هذه الأسواق ظلت وجهة نظر FAMA 1965 / 1970 التي قدمت عن كفاءة السوق Market Efficiency هي وجهة النظر الأقوى. كما أشار (Abdmoulah, 2010) أن اختبارات الكفاءة التقليدية Conventional Efficiency Tests لا تعطي نتائج دقيقة عن الوضع الفعلي للأسواق، لأنها تعتمد على قياس الكفاءة في فترة زمنية معينة. وهو ما أضافه (Abdmoulah, 2010) فقد قام باستخدام نموذج GARCH (١.١) لقياس الكفاءة، ومقارنة الأسواق العربية ال ١١ بمؤشر AMEX الأمريكي.

وتتعارض الدراسات السابقة عند قياس الكفاءة لهذا السبب فمنهم من استخدم الأساليب التقليدية، ومنهم من استخدم الأساليب الحديثة لقياس الكفاءة من البيانات اليومية للمؤشرات كما فعل (Abdmoulah, 2010) في هذه الدراسة . فهذه الدراسة من وجهة نظري توصلت إلي نتائج في غاية الأهمية، ولجأ إليها العديد من الباحثين للتمكن من فهم مصطلح كفاءة السوق، وهو ما دفعنا نحو إيجاز تلك المقالة في شكل مبسط ومختصر.

وجدير بالذكر أن أنواع كفاءة الأسواق كما أشير إليها[1] تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي :

[1] Asal, M. (2000). *Are there trends towards efficiency for the Egyptian stock market?*. Working Paper, School of Economics and Commercial Law, University of Goteborg, Sweden. Available at http://www. emh. Org / Asal. pdf (accessed 1 November 2013).

الكفاءة علي المستوي الضعيف (نظرية الحركة العشوائية للأسعار) Weak form of EMH	الكفاءة على المستوي المتوسط Semi Strong of EMH	الكفاءة علي المستوي القوي Strong form of EMH
يتم من خلالها إظهار المعلومات التاريخية مثل: أسعار الأسهم، حجم التعامل، قوائم مالية منشورة وتسمي معلومات تاريخية تم القيام بها في الماضي سواء أيام أو شهور، ولا يمكن التنبؤ من خلالها بالتغيرات المستقبلية للأسعار. **وهي الصيغة التي حاول الباحث (Abdmoulah, 2010) قياسها في هذه المقالة.**	يتم من خلالها جمع الأسعار الحالية للأسهم، وهي لا تعكس التغيرات السابقة فقط في أسعار الأسهم، بل تعكس المعلومات المتاحة للجمهور كلها سواء كانت على الظروف الاقتصادية، أم ظروف الشركة، أو التقارير المالية.	يتم من خلالها جمع المعلومات المتاحة للعامة، وغير العامة والإفصاح عنها بالسوق، مما يؤثر على الأسعار ولا يكون لدى أي مستثمر فرصة لاحتكار معلومة، كما أنها لا تسمح لأي مستثمر بتحقيق أرباح غير عادية. ويري *(Fama, 1991)* أن صيغة السوق القوي صيغة متطرفة غير موجودة في الواقع.

الأساليب الإحصائية التي تم استخدامها :

الأسوب الاحصائي	سبب استخدامه
الوسط Mean	تم استخدامه في الإحصاء الوصفي، وهو من مقاييس النزعة المركزية، ولكن يعاب عليه أنه لا يمكن استخدامه منفردًا لأنه يتأثر بالقيم الشاذة ، ويصعب حسابه في البيانات الوصفية.
الوسيط Median	تم استخدامه في الإحصاء الوصفي، وهو من مقاييس النزعة المركزية، من خلال ترتيب البيانات تصاعديا، أو تنازليا وأخذ القيمة الوسطى، ولكن يعاب عليه أنه لا يأخذ جميع القيم.
اقصي قيمة Max	هي أقصى قيمة تم التوصل إليها في البيانات.
أدني قيمة Min	هي أدنى قيمة تم التوصل إليها في البيانات.
الانحراف المعياري Standard Deviation	تم استخدامه في الإحصاء الوصفي، وهو من مقاييس التشتت، وتم استخدامه لأن مقاييس النزعة المركزية لا تعطي وصفا دقيقا، ويتم حسابه من خلال الجذر التربيعي للتباين، ودائمًا قيمته موجبة، وهو من أدق مقاييس التشتت.
الالتواء Skewness	لمعرفة ما إذا كانت التكرارات موزعة توزيعا متماثلًا حول الوسط الحسابي ومتساوية البعد عنه.
التفلطح Kurtosis	له ثلاثة أنواع (متوسط التفلطح، مدبّب، مفلطح) وهو عبارة عن قياس درجة التوزيع الطبيعي فإذا كان أقل من 3 يكون مفلطح، إذا كان أكبر من 3 يكون مدبب، إذا كان 3 يكون متوسط التفلطح.
أسلوب Jarque-Bera (JB)	اختبار إحصائي جيد لمعرفة. ما إذاكانت. بيانات العينة تحتوي علي. الالتواء والتفلطح، ولا يصلح مع العينات الصغيرة.
اختبار ARCH LM	تم استخدامه لتلافي عيوب السلاسل الزمنية، وعدم مقدرتها علي ترجمة الصفة الحركية للبيانات المالية الخاصة بأسعار الأسهم مثلًا: ففرضية الخطية التي تتسم بها لابد من وجود فترة زمنية ثابتة للبيانات، وتم اكتشاف هذا الأسلوب المسمي بالانحدار الذاتي مشروط بعدم تجانس التباين علي يد (Engle, 1982) وهو نموذج غير خطي يراعي التقلبات.

نموذج GARCH Model	تم تطوير نموذج ARCH LM علي يد العالم (Bollerslev, 1986) واقترح نموذج GARCH وهو الانحدار الذاتي المشروط بعدم التجانس المعمم فهو نموذج للتنبؤ بحركة تذبذب مؤشر السوق، والأرباح أو العائدات اليومية ويأخذ في اعتباره التقلبات Volatility ويمكن اعتباره مقياس للمخاطرة Risk ويستخدم للتنبؤ بحركة الأرباح في المستقبل.
اختبار الارتباط الذاتي Ljung Box Q Statistic	تم من خلاله قياس الارتباط بين البواقي لتحليل السلاسل الزمنية، وهو مماثل لاختبار Durbin-Watson.
اختبار Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test	يتم استخدامه في حالة تطبيق نماذج تشبه الانحدار، وهو يقوم باختبار وجود ارتباط متسلسل للبواقي، وهو مماثل لاختبار Durbin-Watson .
أسلوب Kalman Filter	يعتبر هذا الأسلوب من أساليب فضاء الحالة The state space التي تستخدم في التحليل، والتنبؤ بالسلاسل الزمنية، ومعرفة التغيرات التي طرأت عليها، وقد ظهر الاهتمام بالترشيح من الثلاثينات، ويعتبر مرشح كالمن أشهرهم وتم ابتكاره علي يد العالم Kalman, 1960 الذي يمكن من خلاله تقدير القيم المفقودة، وتحليل السلاسل الزمنية، وجاء للتغلب علي مشكلة عدم استقرار البيانات التي تعاني منها السلاسل الزمنية، ويمكن استخدامه مع كافة السلاسل (المستقرة، غير المستقرة، الخطية، غير الخطية).

الخلاصة والنتائج:

- أظهرت البلدان العربية اهتماماً متزايداً بأسواق الأوراق المالية منذ أوائل التسعينات.
- تم إنشاء العديد من البورصات العربية، وتم إجراء تحسينات للبورصات القائمة بالفعل من أجل تحسين سيولتها، وكفاءتها.
- لقد أظهرت هذه الأسواق تطوراً فيما يتعلق بحجمها وسيولتها، كما أن تقدم هذه البورصات من حيث الكفاءة لازال مختلط في الأدبيات.
- الاختبارات التقليدية التي تتعلق بالكفاءة غير كافية لقياس كفاءة الأسواق الناشئة، حيث أنها تقيس الكفاءة في نقطة زمنية معينة، ولا تتناول تطورها بمرور الوقت.
- أشارت الدراسات السابقة أنه بفضل الاصلاحات التي تمت في البورصات العربية تحركت نحو الكفاءة الضعيفة Weak form Efficiency.
- توصلت هذه الدراسة إلى خروج البورصات من نطاق، أو شكل الكفاءة الضعيفة.
- لا تظهر مسارات كفاءة أسواق الأوراق المالية ال ١١ اتجاهاً واضحاً نحو المزيد من الكفاءة، وهي تتأثر بشدة بالأزمات المعاصرة، وشديدة الحساسية للصدمات السابقة، فالصدمات تمارس نفوذها لفترة طويلة.

- أن النتائج التي توصلت إليها هذه الورقة تتناقض مع الأسواق المتقدمة الممثلة هنا من قبل ال AMEX وتكشف عدم فعالية الاصلاحات التي أجريت خلال العقد الماضي.

المراجع:

- Abdmoulah, W. (2010). Testing the evolving efficiency of Arab stock markets. .34–25 ,(1)19 ,International Review of Financial Analysis
- Asal, M. (2000). Are there trends towards efficiency for the Egyptian stock market?. Working Paper, School of Economics and Commercial Law, University of Goteborg, Sweden. Available at http://www. emh. Org / Asal. pdf (accessed 1 November 2013).
- Fama, E. F. (1991). Efficient capital markets: II. ,(5)46 ,The journal of finance 1617–.1575

.

المزيد من البنوك المركزية الأفريقية تستكشف العملات الرقمية

ترجمة[1]: د. سامر مظر قنطقجي

تستكشف العديد من البنوك المركزية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أو هي في المرحلة التجريبية للعملة الرقمية، بعد طرح نيجيريا في أكتوبر e-Naira. كانت نيجيريا ثاني دولة بعد جزر الباهاما تطرح CBDC.

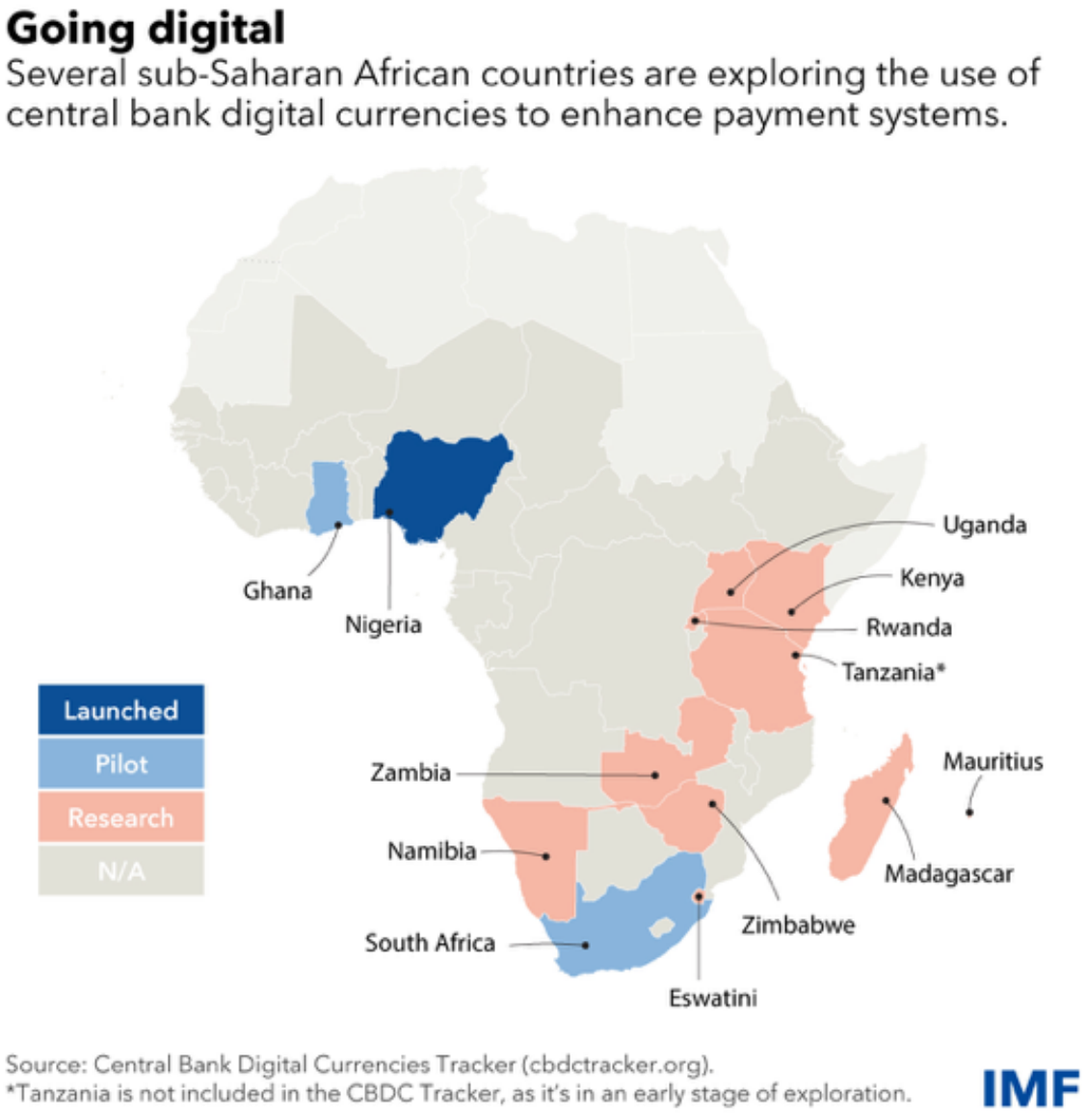

[1] Habtamu Fuje, Saad Quayyum and Franck Ouattara, More African Central Banks Are Exploring Digital Currencies, JUNE 23, 2022, IMFBlog, Link

عملات البنوك المركزية هي نسخ رقمية من النقد أكثر أمانًا وأقل تقلبًا من الأصول المشفرة لأنها تصدر وتنظم من قبل البنوك المركزية. كما يوضح المخطط، تقوم جنوب إفريقيا وغانا بتشغيل برامج تجريبية بينما هناك دول أخرى في مرحلة البحث. يقوم بنك الاحتياطي في جنوب إفريقيا بتجربة عملة رقمية للبنك المركزي بالجملة، والتي لا يمكن استخدامها إلا من قبل المؤسسات المالية للتحويلات بين البنوك، كجزء المرحلة الثانية من مشروعها الخوخة. تشارك الدولة أيضًا في تجربة تجريبية عبر الحدود مع البنوك المركزية في أستراليا وماليزيا وسنغافورة.

على النقيض من ذلك، يختبر بنك غانا غرضًا عامًا أو CBDC للبيع بالتجزئة، وهو e-Cedi، والذي يمكن استخدامه من قبل أي شخص لديه تطبيق محفظة رقمية أو بطاقة ذكية بدون تلامس يمكن استخدامها في وضع عدم الاتصال.

الدول لديها دوافع مختلفة لإصدار عملات البنوك المركزية الرقمية ولكن بالنسبة للمنطقة هناك بعض الفوائد المهمة المحتملة.

الأول هو تعزيز الشمول المالي. يمكن للعملات الرقمية للبنك المركزي تقديم الخدمات المالية للأشخاص الذين لم يكن لديهم سابقًا حسابات بنكية، خاصة إذا تم تصميمها للاستخدام دون اتصال بالإنترنت. في المناطق النائية التي لا يوجد بها اتصال بالإنترنت، يمكن إجراء المعاملات الرقمية بتكلفة قليلة أو بدون تكلفة باستخدام الهواتف البسيطة.

يمكن استخدام عملات البنوك المركزية الرقمية لتوزيع مدفوعات الرعاية الاجتماعية المستهدفة، لا سيما أثناء الأزمات المفاجئة مثل الوباء أو الكوارث الطبيعية.

يمكنهم أيضًا تسهيل التحويلات والمدفوعات عبر الحدود. أفريقيا جنوب الصحراء هي أغلى منطقة لإرسال واستقبال الأموال، بمتوسط تكلفة أقل بقليل من ٨٪ من مبلغ التحويل[1]. يمكن للعملات الرقمية للبنوك المركزية أن تجعل إرسال التحويلات أسهل وأسرع وأرخص من خلال تقصير سلاسل الدفع وخلق المزيد من المنافسة بين مقدمي الخدمات. من شأن التخليص الأسرع للمدفوعات عبر الحدود أن يساعد في تعزيز التجارة داخل المنطقة ومع بقية العالم.

[1] للمزيد يراجع مقالنا المترجم: شركتا باي بال و ويسترن يونيون تم فضحهما لزيادة رسوم تحويل الأموال إلى المكسيك، رابط.

ومع ذلك، هناك مخاطر وتحديات يجب مراعاتها قبل إصدار عملة رقمية للبنك المركزي. ستحتاج الحكومات إلى تحسين الوصول إلى البنية التحتية الرقمية مثل الاتصال بالهاتف أو الإنترنت. بينما خطت المنطقة خطوات كبيرة، هناك حاجة إلى مزيد من الاستثمار.

على نطاق أوسع، ستحتاج البنوك المركزية إلى تطوير الخبرة والقدرة التقنية لإدارة المخاطر على خصوصية البيانات، بما في ذلك من الهجمات الإلكترونية المحتملة، والسلامة المالية، الأمر الذي سيتطلب من الدول تعزيز أنظمة تحديد الهوية الوطنية الخاصة بها حتى تعرف على عميلك يتم فرض المتطلبات بسهولة أكبر. هناك أيضًا خطر أن يسحب المواطنون الكثير من الأموال من البنوك لشراء عملات رقمية، مما يؤثر على قدرة البنوك على الإقراض. هذه مشكلة خاصة للبلدان التي لديها أنظمة مالية غير مستقرة.

ستحتاج البنوك المركزية أيضًا إلى النظر في كيفية تأثير عملات البنوك المركزية الرقمية على الصناعة الخاصة لخدمات الدفع الرقمية، والتي خطت خطوات مهمة في تعزيز الشمول المالي من خلال الأموال عبر الهاتف المحمول.

نووية الأخلاق الإسلامية في الاقتصاد والحياة

عثمان المودن

أستاذ اللغة العربية - باحث بمركز دراسات الدكتوراه - جامعة محمد الخامس - المغرب

ماجستير اقتصاد إسلامي وماجستير علوم شرعية وشهادة دولية في الصيرفة الإسلامية

الحلقة (١ من ٢)

لا يمكن الحديث عن الاقتصاد الإسلامي بمعزل عن العقيدة الإسلامية، لأن الاقتصاد في الإسلام كالسياسة والاجتماع وكل تفاصيل الأمور العادية والعبادية على السواء، إنما هي جزء من عقيدة شاملة لحياة الإنسان بكل أبعادها ومجالاتها فردا وجماعة؛ فهي عقيدة لا تنفصم ولا تقبل التجزئة، وهي بمثابة المقدمة الضرورية والمدد الروحي والمورد الأساس الذي ينبثق عنه الجانب العملي التطبيقي ويجليه السلوك والسيرة؛ ولا يمكن الحديث عن العقيدة الإسلامية دون الاعتراف بقوة القيم ومركزية الأخلاق فيها، ولا يمكن الحديث عن ذلك كله دون استحضار ربانية المصدر وشرف الهدف والغاية، وشرعية الوسيلة.

انطلاقا من هذه الخلفية الدينية الثابتة الصلبة، يثار سؤالان تروم هذه الورقة معالجتهما، وهما:

أولا: أليس كل اقتصاد يبدأ في الانتهاء كلما أعوزه الدين وغادرته الأخلاق؟

ثانيا: هل يليق بالمسلمين أهل القرآن ومثله معه، الدستور المشتمل على كل ما يحتاجونه في أمور دنياهم ودينهم أن يبحثوا عن حلول لمشاكلهم الاقتصادية في نظم مادية من صنع البشر، مع علمهم بنقصانها وفسادها، بل مع اعتراف عقلاء أرباب تلك النظم أنفسهم بأن: " أي مناقشة علمية لها صبغة اقتصادية لا يمكن فصلها عن الأخلاق"[1]؟

ينظر الإسلام إلى الأفكار الاقتصادية وكل ما يتبعها من ممارسات فعلية، على أنها في الحقيقة، انعكاسات وتجليات إيمانية اعتقادية لدى أصحابها المسلمين، تتبلور واقعيا من خلال سلوكات وتصرفات وتوجهات،

1- قولة للاقتصادي الانجليزي: جون ميراند كينز، أوردها محمد فتحي صقر في بحثه: تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي في إطار الاقتصاد الإسلامي، المصرف الإسلامي للاستثمار والتنمية، ص: 43

تمنح من معين نظام القيم والأخلاق الإسلامية، وتنضبط ليقينيات العقل المسلم المكلف، وفق شريعة السماء من خلال التدبر الواعي لثلاثية العلاقة بين الإنسان والكون والحياة.

وإذ أن علم الاقتصاد يدرس السلوك الاقتصادي الإنساني إلى جانب دراسته – بطبيعة الحال – للثروة والمال وما يلف لفهما؛ فهو على هذا الأساس فرع من فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ بحيث لا يستطيع الابتعاد عن المؤثرات الأخلاقية والنفسية والثقافية، رغم محاولة المنهجيات الاقتصادية الحديثة فك ارتباط الاقتصاد بالسلوك الإنساني وجعله علما تقنيا يعول بالدرجة الأولى على الأدوات الرياضية والقياسية التي تتبناها معظم النظريات الاقتصادية الفاقدة للمفاهيم الاجتماعية المحورية في حياة الناس، والغائبة عن مراعاة مصالح ومنافع كل الناس.

قضية فلسفة الأخلاق، وفيها مسألتان:

إن العلوم الاجتماعية والإنسانية المعنية هنا، ليست تلك التي نشأت وتبلورت في بيئة مناقضة لأصول ومنهج الفكر الإسلامي؛ بيئة تتعامل مع الإنسان على أنه مادة فارغة من الأخلاقيات والروحانيات، وعلى أن الاقتصاد وباقي العلوم لا حاجة لها بالدين، بدعوى أن هذا الأخير ضد سعادة الإنسان ورفاهيته في حياته؛ بل هي علوم اجتماعية وإنسانية تشتغل في حضن الدين وفقهه، الجامع بين التمام الخلقي بالشمائل والفضائل، والاكتمال العقلي بالعلوم والمعارف والكمال الديني بالتوحيد والعبادات، والقاصدة لتعظيم الله تعالى وتوحيده والسمو بالإنسان وتكريمه[1].

وعليه فإن الاقتصاد كباقي العلوم الإنسانية الأخرى يخضع في تقييمه لمعيار القياس الأخلاقي، الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يختزل في عدد من الأدوات القياسية الكمية التي تتشكل على وفقها العلوم الطبيعية الأخرى، ولعل هذا جزء مما يفهم من قول الاقتصادي البريطاني المعروف: ليونيل روبنز في أهم مقال نشره في الموضوع عام ١٩٣٢م؛ إذ قال: "الاقتصاد هو علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني كعلاقة بين الغايات والموارد النادرة ذات الاستعمالات"؛ وعليه فإن السلوك الأناني، والسلوك الاستبدادي، والسلوك العدواني، والسلوك التملكي، والسلوك الاستهلاكي الترفي؛ أو السلوك الإيثاري، والسلوك الاعتدالي، والسلوك الإحساني الخيري. لا يمكن رصد أي سلوك من هذه السلوكات أو غيرها خارج ذات

[1] - فهمي محمد علوان، القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 م، ص: 10

صاحبها، بل لابد من فهم المشاعر المستبطنة العميقة المكنونة في داخله، والتي مرجعيتها الفطرة السليمة والهيئة الراسخة والجانب الوضيء من النفس، بتجليات الفضيلة والصفاء والخلق السَنِيِّ، أو التي مبعثها التغرير الناشئ عن هوى النفس وشهواتها، وعن تزيين الشيطان للدنيا وزخرفها في القلوب المريضة، أو إثارة الرعب وإشاعة الفتنة، الآتي ممن يتقنون الإدارة بالتخويف والإرجاف لبلوغ مآربهم غير المعلنة. وكل ما يدل على الخلق الدَنِيّ.

ويجدر القول هنا: إن المال بمعناه الاصطلاحي الفقهي العام، الذي هو محل الاقتصاد كله، وفيه يجري التنافس وبه يحصل الإنتاج إلى جانب العمل، وبه يقع الانتفاع وعليه تنبني القيمة، إنما هو في ذات الوقت مستودع للقيم ومشتل للأخلاق، إن حَسُنَ التصرف فيه؛ وهو منبت الشرور ومصدر الرذائل، إن ساء التعامل معه؛ ففي جانب حسن التصرف، يمثل رفع الظلم عن الضعفاء والمساكين، والبذل والعطاء، والامتناع عن كل أنواع أكل أموال الناس بالباطل أهم أخلاق الإسلام في مجال المال؛ وعلى النقيض من ذلك، يمثل الظلم والجشع والربا.. وكل صور أكل أموال الناس بالباطل أحط الرذائل في المجال نفسه.

ولا يختلف اثنان، في أن ما ذكرآنفا يوضح بما لا يدع مجالا للشك، الفرق بين اقصاد إسلامي وآخر وضعي؛ هذا الأخير الذي همه ومنتهاه الزيادة في الانتاج والاستهلاك، لإشباع كل الحاجات واللذات والشهوات والرغبات المادية مستندا إلى قاعدة أن كل التصرفات الاقتصادية بشرية، وأنها لا علاقة لها بدين أو شرع، لأن الدين محله المساجد والمحاريب، وليس التجارة والسوق والمال؛ وبالتالي فإن ما يسمونه (الانسان الاقتصادي) لا ينضبط إلا لخياراته الحرة ولا يمتثل سوى لهواه ونزواته التي لا تنحصر ؛ بينما الاقتصاد الإسلامي هو اقتصاد أخلاقي تشكل الأخلاق فيه عروة وثقى لا تنفصم عن أي تصرف من تصرفات المسلم بما فيها تصرفاته الاقتصادية، استنادا إلى قاعدة أن المال مال الله وأن استعمال هذا المال لابد أن يجري تبعا بالضرورة لما يريد صاحبه ومالكه.

المسألة الأولى: الممارسات الاقتصادية لا تحيد عن الأخلاق

يجيز ما سبق، التصريح بأن ربط الممارسات الاقتصادية بالأخلاق هو كربط النتائج بالوسائط، فكلما صلحت الوسائل صلحت النتائج، وكلما صلحت (الأخلاق) صلحت الممارسات الاقتصادية والعكس صحيح؛ أو كربط الماء بالنبت، كلما ارتوى اهتز وربا، وكلما امتسى انطفأ وخبا، وليس يخفى – من جهة أخرى – في الواقع الراهن، إن ربط الأخلاق الفاضلة بالاقتصاد أمر مفقود، تكاد لا تجد له أثرا في

الاقتصادات الوضعية كلها؛ بل على النقيض من ذلك، تجد فتن المال والاستماتة في طلبه وتحصيله بكل الوجوه، وترى سوقا يعج بالرذيلة والفساد وكل المهلكات، ولم تعد الدنيا سوى حلبة للتصارع والتنافس والتجاذب على متعها الزائفة.

وليمعن النظر كل مسلم في قول رب العزة في الآيتين الرابعة عشر والخامسة عشر من سورة آل عمران:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران: ١٤–١٥)، ليكتشف أن عيب الدنيا ليس في حبها، وأن عيب مُتَعِها ليس في الأخذ منها، إنما العيب كله، في الرغبة في الدنيا ومتعها المؤدية للرغبة عن الآخرة وحلاوتها؛ وأن الشر كله في طلب المسلم الدنيا الفانية بالآخرة الباقية، فيخسر الباقية ويذل بالفانية، بيد أن الصواب كله في الموازنة بين متع الدنيا ونعيم الآخرة، مع إيثار ما يخلد على ما يزول، وهو المآب الحسن المقرون برضوان الله تعالى، ولذلك قيل: " العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم"[1]، وقال حكيم مفاضلا بين ما يبقى وما يفنى: عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على فناء عمره وعجبت من الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة"[2].

لقد ورد في القرآن الكريم لفظ (الدنيا) بقدر عدد ورود لفظ (الآخرة) وهو عدد سور القرآن، لكن ما ورد لفظ الدنيا في كل مرة إلا مذموما مُحَقَّرًا؛ وفي ذلك إشارة طبعًا، إلى منزلة الآخرة التي وجب أن تكون الدنيا خادمة لها وجسراً إليها، محققة السعادة لصاحبها؛ وإلا فحزن وغم وسخط وسوء عاقبة لمن رغب عن الآخرة ورغب في الدنيا؛ ففي حديث روي من طرق عدة مرفوعا وموقوفا قال ابن مسعود: "**من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة** فيا **قوم أضروا بالفاني للباقي**".

---

[1] - ابن القيم الجوزية، الفوائد، تحقيق أحمد علي سليمان، ط:1، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، 2005م، ص: 148

[2] - ابن أبي الدنيا القرشي، كتاب الزهد أو ذم الدنيا كما جاء في المصادر، تحقيق: ياسين محمد السواس، ط:1، دار ابن كثير، 1999م، ص: 169

وإن إنسانا همه الدنيا وما فيها، يطلبها بكل وسيلة ولا يرعوي لفضيلة، ولا ينضبط لرقابة ذاتية ولا يستشعر أي مسؤولية، ولا يضع لشهواته ونزواته حدا، ولا يَرْقُبُ منها خطورة ولا أذى، إنما مثله كأحد الأمثلة التقليدية المنثورة في قصص الحيوانات عن نملة وقطرة عسل: فقد عثرت نملة في طريقها على قطرة عسل فتذوقتها ثم همت بالذهاب، لكن حلاوة العسل راقتها فعادت ورشفت رشفة أخرى، ثم أرادت الانصراف فلم تستطع، لحبها مذاق العسل؛ لكنها هذه المرة لم تكتف بارتشافها العسل من حافة القطرة على مهل، بل قررت الاستمتاع بلذاته فانغمست في القطرة انغماسا، ولما أرادت الخروج لم تجد إلى ذلك سبيلا؛ لقد كبل العسل أيديها وأرجلها والتصق صدرها بالأرض، ولم تقدر على الحركة، فظلت على هذه الحال حتى ماتت قتيلة طمعها وأنانيتها وحبها المفرط للمتع واللذات؛ ولو أنها اكتفت بالقليل لاستفادت ونجت.. إن هذا التمثيل القصصي فيه عبرة لبني البشر؛ فكذلك الإنسان لو اكتفى بما يكتسبه من حلال بحق وعدل، وتمتع بنعيم الدنيا ضمن الحدود التي شرعها الله دون الانغماس في لذاتها، والالتهاء بها عن التزود بزاد الآخرة لفاز بنعيم الدارين؛ إنه لا شيء يبيد النعم ولا شيء يبقي النقم ويخلق المحن مثل الظلم والباطل بشتى أشكاله؛ وإن العقلاء مدعوون للتفكر في شِعْرٍ حكيمٍ، منسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فيه:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

وإن إنسانا همه الدنيا يطلبها بكل وسيلة متنكرا لكل فضيلة، إنما هو فاسد مفسد، بصريح كلام رب العالمين، يقول سبحانه: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**(الروم: ٤١)؛ وهو فاسد مفسد بمضمون حديث خير البشر أجمعين، قال عبد الله بن عباس: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم: خمس بخمس**، قيل يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: **ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت وما طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**[1].

[1] - حديث عبد الله بن عباس، صحيح الجامع الصغير، رقم: 3235

ليس يغيب إذًا، أن الفهم السليم لمجريات الأحداث قديما وحديثا يَفْتَرِض ألا يشك أحد في أن المحن الاقتصادية و(السِّنِينَ) التي أصابت الأقوام عبر التاريخ، مرتبطة ارتباطا مطردا بالمعاصي المرتكبة وأعمال الفسق المقترفة والرذائل المنتشرة والمظالم الشائعة، أليس يقول رب السموات والأرض: **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** (الأعراف: ١٣٠)؛ قال الطبري في تأويل هذه الآية: " ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليهم من الضلالة بالسنين، أي بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط، واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل عظة لهم وتذكيرا لهم لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة"[1]؛ وذكر الرازي في مفاتيح الغيب ما أجمع عليه المفسرون قبله – ومنهم الطبري – فيما يخص هذه الآية فقال: " إن المفسرين قالوا: يريد الجوع والقحط عاما بعد عام... وإنما أنزل عليهم هذه المضار لأجل أن يرجعوا عن طريق التمرد والعناد إلى الانقياد والعبودية وذلك لأن أحوال الشدة ترقق القلب وترغب فيما عند الله"[2]؛ وإن ما حصل لقوم فرعون لا يقتصر عليهم ولا يعنيهم وحدهم، وإن كان السبب خاصا بهم؛ إنما هو برهان على ما حصل لغيرهم قبلهم، وما قد يحصل لمن بعدهم، كلما تكرر نفس السبب المحمول لفظه على العموم ولا عبرة بخصوصه؛ لأن الشريعة عامة، جاءت لكل العالَمين، ولا يجوز حصر الحكم فيها على السبب الخاص ولا على أفراد معدودين، وإلا كان ذلك ضعفا وقصورا منها؛ وبالتالي فإن الآية وإن نزلت في آل فرعون إلا أنها تشمل كل من ضل وطغى، وعاند وبغى، واستكبر وعصى مثلهم؛ وهذا مراد الإمام الغزالي في قوله: "ورود العام على سبب خاص لا يسقط دعوى العموم.. والدليل على بقاء العموم أن الحجة في لفظ الشارع لا في السؤال والسبب"[3]، ولذلك اشتهرت عند الأصوليين – بناء على ما سبق – قاعدة أصولية دقيقة، اعتمدها الجمهور في فهم النصوص العامة التي لا تعارض بينها، تقول: " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

---

[1] - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف ومن معه، ط: 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ج:3، ص:486

[2] - الرازي، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، ط: 1، دار الفكر بيروت، لبنان، 1981م، ج: 14، ص: 224

[3] - أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ط: 1، دار الفكر، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1324 هجرية، ج: 2، ص: 60

كما يفترض أن لا يشك كل مسلم عاقل لبيب، أن ما يعتري الأرض اليوم من فساد ونقم، وبلاوي وأزمات، هي بالأسباب ذاتها: التحلل من كل فضيلة وخلق، والاستخفاف بشرع الله على أرضه، والتنكر لمهمة الإنسان في الأرض.. إنه التاريخ يعيد نفسه وفق معادلة: كلما تمت وتحققت المقدمات وتشابهت، ظهرت وحضرت النتائج وتناظرت؛ ويدعو كل مسلم إلى استحضار قصص كل من أصحاب البستان في سورة القلم، وقارون في سورة القصص، ويوسف في سورة يوسف، من كتاب الله عز وجل، وإلى حسن قراءة هذه القصص ووعي دروسها، ليعرف كيف تتغلغل الأخلاق والفضائل في جميع التكاليف الشرعية، من عقائد وعبادات، وعادات وعقود ومعاملات، وعقوبات ونظم وسياسات وعلوم واقتصادات، ذلك لأن الأخلاق هي الأسس والقواعد الأولى للتشريع الإسلامي.

وليس الغرض في هذه العجالة، استعراض هذه التشريعات وأبعادها الأخلاقية، ففي ذلك كلام يطول، بيد أني أكتفي بالتذكير بأن أوائل الأوامر والنواهي التي أنزلت على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم مع التوحيد، إنما كانت أوامر ونواهٍ خُلُقية؛ فأول أمر في قوله تعالى: **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** (المدثر: ٣) إشارة منه سبحانه إلى صفاء ونقاء الروح من دنس الشرك، استعدادا لتلقي الأمر الثاني من قوله جل وعلا من السورة نفسها: **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** (المدثر: ٤)، قال الشيخ عبد الله دراز شارحا هذا الأمر الإلهي الثاني: " أما بعد فما كنه تلك الثياب التي أمرنا بتطهيرها؟ أما الحرفيون الماديون فإنهم يفهمون منها أدنى معانيها إلى حسهم ذلك اللباس الذي توارى به أبداننا، وأما المتفقهون في أسرار اللغة والدين فإنهم يفهمون منها شمائل الأخلاق التي قال الله في شأنها: **وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** (الأعراف: ٢٦).

بل أكثر من هذا، إن الأخلاق هي المبرر الوجودي للإنسان على الأرض، فالإنسان مكلف بوظيفة كونية أساسها الفعل الأخلاقي، ليس في السوق والمعاملات فقط كما قد يُظَن، بل حتى في العقيدة والعبادات، وفي كل تفاصيل الحياة باختيار مسؤول منضبط لأوامر الله التكليفية التي جاءت بها النصوص الشرعية القرآنية والحديثية؛ ولذلك لا نكاد نجد نصا من نصوص الدين يخلو من الحث على الأخلاق، إن لم يكن تصريحا فتلميحا؛ بل إن الربط بين الأخلاق وباقي الدين ربط متين، حتى إن لفظي الدين والخلق قد يطلق أحدهما ويراد به الآخر؛ ولعل هذا مراد ابن تيمية في قوله: " لفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد

به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين"[1]، والبر – كما هو معلوم – هو الخلق الحسن بمنطوق الحديث الصحيح: **البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**[2]، سواء بين العبد وربه، أو بين العبد المسلم وأخيه المسلم، أو بينه وبين عموم الناس صالحهم وشرهم، مؤمنهم وكافرهم مستقيمهم وفاسقهم.. وباقي المخلوقات في الكون.

المسألة الثانية: مصادر الأخلاق في الإسلام

يخبر التاريخ مؤكدا، بأن ارتباط الأخلاق بالدين لا يختص ولا يقتصر على الرسالة المحمدية، بل إننا نجد الأخلاق مقترنة دائما بكل الأديان والرسالات في جميع مراحل الوجود البشري، وفي جميع الأمم والأقوام السابقة، بدليل أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء برسالة **مُتَمِّمَة** لمكارم وصالح الأخلاق، ففي الحديث: **إنما بعثت لأتمم مكارم** (وفي رواية صالح) **الأخلاق**[3]؛ والتتمة تقتضي المقدمة وتحيل عليها، وهذا معناه أن الدين يعتبر أغزر رِفْد ومَدَد للأخلاق والقيم، وأقوى داعم، وأول ناصر لتوطينها في المجتمعات، ويكفي أن دعاة الأخلاق ورُعاتها هم الأنبياء والمرسلين وورثتهم العلماء الصلحاء.

لكن هناك جانب مهم في مسألة نشأة الأخلاق لا يجوز إغفاله، لأنه يعد مصدراً لها كذلك، وهو الفطرة، التي هي في الحقيقة أسبق من الدين، لكنها دالة عليه، أو هي الدين نفسه (دين الإسلام) باعتراف نصوصه وإجماع أهل التأويل: **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**(الروم: ٣٠) وفي الحديث القدسي قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: **إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**[4]، ولذلك ورد لفظ الفطرة في القرآن الكريم والسنة النبوية جامعا لمعاني: الحالة الابتدائية السليمة المستقيمة، التي يكون عليها المولود قبل أن يطرأ عليه التغيير ويَحِلَّ به التضليل: **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**[5]؛ فالفطرة إذًا، تَوْقٌ تلقائي، وانعطاف ابتدائي، وهيئة أصلية، مشتركة بين جميع الناس قلوا أو كثروا، وإن اختلفت أديانهم وأزمانهم، وأجناسهم، وأوطانهم، وأحوالهم، وفئاتهم، ودرجاتهم.. ولذلك تجد كل

---

1 - ابن تيمية، كتاب الإيمان، تحقيق جماعة من العلماء، دار ابن خلدون، الاسكندرية، د.ت.ط، ص: 158
2 - حديث النواس بن سمعان، أخرجه مسلم في صحيحه
3 - حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وغيره من طرق أخرى
4 - حديث عياض بن حمار المجاشعي، أخرجه مسلم في صحيحه
5 - حديث أبي هريرة، أخرجه الشيخان في صحيحيهما

الناس يستقبحون الأخلاق السيئة ويعترضون على مقترفيها، ويستحسنون الأخلاق الحسنة ويثنون على فاعليها؛ ولا يُظَنُّ أن واحدا منهم بفطرته، يقبل الظلم ويمنع العدل، ويحب الخيانة ويكره الأمانة، ويدفع الرحمة ويجلب القهر، ويطمئن إلى الحرام ويحترز من الحلال.. قال أحد العارفين اللاحقين مؤكدا: " أهل الأقطار قاطبة يمدحون المحسن ويذمون المسيء بعقولهم من دون معرفة الشرائع، بل مَنْ مَيَّز من الصبيان مدح مَنْ أحسن وذَمَّ من أساء"[1]، وقال قبله أحد المجتهدين السابقين موضحا: " الإنسان من نفسه يجد من لذة العدل والصدق والعلم والإحسان والسرور بذلك ما لا يجده من الظلم والكذب والجهل، والناس الذين وصل إليهم ذلك والذين لم يصل إليهم ذلك يجدون في أنفسهم من اللذة والفرح والسرور بعدل العادل وبصدق الصادق وعلم العالم وإحسان المحسن ما لا يجدونه في الظلم والكذب والجهل والإساءة، ولهذا يجدون في أنفسهم محبة لمن فعل ذلك وثناء عليه ودعاء له وهم مفطورون على محبة ذلك واللذة به، لا يمكنهم دفع ذلك من أنفسهم كما فطروا على وجود اللذة بالأكل والشرب والألم بالجوع والعطش"[2].

هكذا يبدو أن للأخلاق مصدران رئيسان يستمد منهما الجهاز الخلقي في الإنسان حيويته وقوته واستمراره، هما: الدين والفطرة؛ لكن بالعودة إلى تاريخ النظرية الأخلاقية وإلى صيرورة تطور وتبلور صيغها العملية في المجتمعات، يظهر أن العرف والعادة، يساهمان كذلك في رسم شكل المنظومة الأخلاقية وفلسفتها؛ وبذلك يضاف إلى الفطرة والدين مصدر آخر يسميه فلاسفة الاجتماع: الأخلاق العرفية، ويقصد بها مجموع ما استقر عليه الناس وأصبح جاريًا بينهم على سبيل التراضي والتوافق والاحترام، من أداءات وسلوكات يعيبون انتهاكها ويباركون التزامها؛ وهذا يعني أن الأخلاق والقيم، ما هي إلا مجرد انعكاس للحياة الاجتماعية بتجاربها وثقافاتها وتفاعلاتها الفكرية وأبعادها الفلسفية؛ غايتها مراعاة الآخرين وكسب رضاهم، والحفاظ على الاعتبار الاجتماعي بينهم، عن طريق الالتزام بما تم التوافق حوله؛ ومهما يكن فإن الفكر الإسلامي لا ينكر تأثر الأخلاق بمحيطها الاجتماعي، ولا ينكر قدرة المجتمعات على تشكيل القيم والأخلاق، لكنه في نفس الوقت، اعتبر أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا في إطار الاستمداد من المصدرين السابقين، وبالتالي فالأخلاق العرفية ناشئة عن الدين والفطرة، ومُتَرَقِّيَة بهما أو

[1] - الأمير الصنعاني، إجابة السائل شرح بغية الآمل، تح: حسين السياغي وحسن الأهدل، ط:1، مؤسسة الرسالة، 1986م، ج:1، ص: 221

[2] - ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ط: 3، مطبعة معارف لا هور، باكستان، 1977م، ص: 423

منتكسة خائرة بدونهما، متى ضُيِّعَتْ نقطة الارتكاز، التي هي الدين والفطرة معه على سبيل التدقيق؛ والتي هي الدين منفردا على سبيل التحقيق؛ على اعتبار أن الفطرة من الدين كما سيأتي في الصفحات الموالية؛ حيث سيظهر أن العرف الاجتماعي هامشي وتبعي في مسألة الأخلاق، وأنها راجعة بالأساس إلى الدين والفطرة كمصدرين أصلين ثابتين لها؛ فالأخلاق في النهاية إذًا: "بعضها خُلق مطبوع وبعضها خُلق مصنوع لأن الخُلق طبع وغريزة والتخلق تَطَبُّع وتَكَلُّف.. فتصير الأخلاق نوعين: غريزية طُبِعَ عليها ومكتسبة تَطَبّع بها"[1].

إن الاهتمام بالأخلاق في القرآن والسنة حكما وتشريعا، دليل قوي على منزلتها في حياة الناس، وفي حركتهم على الأرض، ودليل على ثقلها في ميزانهم يوم حساب ربهم؛ والأخلاق في الإسلام علة من علل تكريم الإنسان وتفضيله والثناء عليه؛ ثم إنها الواجهة الأبرز التي يراها الناس في الناس؛ في حين لا يرون فيهم عقيدتهم، لأن محلها القلب الذي لا يطلع عليه سوى فاطرِه، كما لا يرون كثيرا من عباداتهم؛ لكن تبقى الأخلاق والفضائل الإسلامية أقوى ما يدفع الشبهة عن الدين وأقوى شاهد عيان على كل مؤمن، تُرى عقيدتُه وعباداتُه وتتميز درجته في المجتمع عن دَرَكَتِه فيه من خلالها، وتُقَيَّم على أساسها، ولقد كان هذا علم وفهم السلف الصالح وعليه بنوا أعمالهم وتصرفاتهم؛ ولذلك جاء في قول منسوب لأحد الخليفتين العمرين ردا على سؤال "كيف ذلك؟" بعد أن قال لبعضهم: " كونوا دعاة إلى الله وأنتم صامتون" فأجاب: "بأخلاقكم"؛ وقال ابن القيم مبدعا وحاسما في هذا المعنى: "الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"[2]؛ وهذا يؤكده أيضا، ما جاء في كثير من الأحاديث، منها قوله صلى الله عليه وسلم: **إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**[3]؛ وقوله صلى الله عليه وسلم: **من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**[4].

---

[1] - الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح: محيي هلال السرحان ومن معه، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص:4

[2] - ابن القيم، مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: 7، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2003م، ج:2، ص: 294

[3] - حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه أبو داود في سننه

[4] - حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في صحيحه

أفليس إذاً، في الصيام ترك للغو والسب والنميمة والكذب والقذف...؟ وأليس في الحج ترك للرفث والفسوق والجدال..؟ وأليس في الزكاة والصدقات ترك للبخل والجشع والتكبر وكل شرور النفس؟ وأليس في الصلاة ترك لكل فحش ومنكر؟ ثم أليست الدعوة إلى ترك الرذائل والمنكرات هي في ذات الوقت استدعاء لأضدادها: الفضائل والمكرمات، وحض عليها في سائر العبادات وكل أصول العقيدة والإيمان؟ أو لنقل: أليست الدعوة إلى الإقبال على الفضيلة هي في الآن نفسه دعوة إلى الإدبار عن نقيضها الرذيلة؟ ولنفهم أن في الإقبال تحلي وفي الإدبار تخلي وأن الأول يقتضي الثاني، لأن قبول المحل لما يوضع فيه مشروط من ضده كما قرر الأصوليون.

لقد نَفَت الشريعة بمنطوق نصوصها، الإيمان عن المرابي، ونفته عن المقامر، وعن المبذر، ونفته عن المتاجر في الخمر وما يقاس عليه، ونفته عن التاجر الفاجر بكذبه ونفاقه وتزييفه وخيانته وتدليسه وكثرة حلفه، ونفته عن الظالم والغاصب وآكل أموال الناس بالباطل، ونفته عمن لا أمانة له ولا حياء له، ونفته عمن بات شبعان وجاره جوعان، ونفته بمفهوم المخالفة، عمن لا يكرم ضيفه، وعمن لا يقول خيرا أو لا يصمت عن قول شر، وعمن لا يُعاهَد ولا يُواعَد ولا يُؤتمن ولا يُصدَّق، ونَفَته عمن لا يحسن ولا ينفق ولا يتصدق..

وكل ما توارد من نصوص قرآنية وحديثية في هذه الشؤون الأخلاقية، إنما هي دلائل لا لبس فيها، على التصاق الأخلاق والقيم التي قررها الإسلام، بالعقيدة والإيمان والدين والفطرة السليمة الثابتة؛ ودلت عليه كذلك بالدليل الحي والممارسة الواقعية، السيرة الشخصية لأكمل الخلق إيمانا وأحسنهم خلقا، نبي الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم، حتى بات واضحا ومؤكدا بما لا يدع مجالا للسؤال، بأن أصل الدين وكل رسالاته وشرائعه، يوجزها قول الله عز وجل في حق رسوله مادحا وشاهدا- وكفى به شاهدا-: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**(القلم: ٤)؛ وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح محققا لهذه الشهادة ومجسدا للهدف النبيل الذي بعث من أجله في أكمل صورة وأرقاها: **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**[1].

[1] - حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في الأدب (273) وأحمد في المسند (8729) وغيرهما من طرق أخرى وبألفاظ أخرى

هذان النصان القرآني والحديثي، أجمع المفسرون المتقدمون والمتأخرون على السواء، أنهما يتضمنان العنصر **النووي** الذي يدور حوله دين الإسلام ونظامه بأكمله وهو: الأخلاق، والتي يؤدي ضياعها وفقدها إلى إرداء وتهديم حقيقة الاقتصاد، واغتيال روح نظامه، علما أن نفس الشيء يتهدد السياسة والاجتماع وباقي نظم الحياة البشرية الفردية والجماعية، كلما أهملت الأخلاق وانتهكت؛ ثم إن إهمالها وانتهاكها، إهمال وانتهاك للدين والفطرة معه، بينما حفظها وتحقيقها حفظ وتحقيق لهما، بناء على ما تقرر نقلا وعقلا بأن الدين والأخلاق أمران متلازمان وجودا وعدما بلا انفكاك؛ فلا دين بغير أخلاق، ولا أخلاق متجلية دون دين؛ قال الطبري في تأويل الآية السابقة: " إنك يا محمد لعلى أدب عظيم وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به وهو الإسلام وشرائعه"[1]، وقال الفقيه المفسر الأندلسي ابن أبي زمنين في الآية نفسها يعني: " دين الإسلام "[2]؛ والشيء نفسه أكده ابن عطية في معرض تفسيره لنفس الآية، معتمدا على رأي من دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالتفقه في الدين وعلم التأويل، فاستحق لقب ترجمان القرآن وحبر الأمة، حيث قال في تفسير المحرر الوجيز إن: " ابن عباس عبر عن الخلق بالدين والشرع وذلك لا محالة رأس الخلق ووكيده"[3].

ولم يخالف المفسرون المتأخرون تفسير من سبقهم لهذه الآية فهذا السعدي يقول: " حاصل خلقه العظيم ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت: كان خلقه القرآن"[4]، وهذا سيد قطب يقول كلاما بليغا في تفسيره لهذه الآية:" الناظر في العقيدة كالناظر في سيرة رسولها يجد العنصر الأخلاقي بارزا أصيلا فيها تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء"[5]؛ وهذا شيخ الإسلام المالكي ابن عاشور يؤكد كل ما سبق فيقول: "واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى

---

[1] - ابن جرير الطبري، مصدر سابق، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: 1، دار هجر، القاهرة، 2001م، ج: 23، ص: 150

[2] - ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، تح: حسين بن عكاشة ومن معه، ط: 1، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م، ج: 5، ص: 19

[3] - ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج: 5، ص: 346

[4] - السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان اللويحق، ط: 2، دار السلام، الرياض، 2002م، ص: 1036

[5] - سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية 32، دار الشروق، القاهرة، 2003م، ج:6، ص: 3657

الخلق الحسن هو التدين"[1] . . وبالإجمال فإن المتتبع المستقرئ لتفاسير هذه الآية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجدها تتوحد حول بيان تَوَشُّج الأخلاق بالدين، وتؤكد أنها عروته الوثقى، لا تنفصم عنه أبدا.

إذًا ليس مستغربا، أن كان النهج الذي سلكه الله سبحانه وتعالى في عرض أوامره التكليفية وفي إرساء مقومات الوجود الإنساني في الكون، يمر دائما عبر الحث على مكارم الأخلاق، وعلى تثبيت أصول الأدب والتربية وجميل العادات ففي سورة الحجرات التي سميت كذلك، باعتبار مكان سبب نزولها، وتسمى سورة الأخلاق عند كثيرين، باعتبار موضوع سبب نزولها، يبدأ سبحانه بذكر الإيمان (العقيدة) ويخاطب أهله خمس مرات ب: **يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا**؛" وإذا سمعت الله يقول: **يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا**؛ فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه"[2]؛ ويرشد سبحانه بعد كل نداء، إلى صنف من أصناف مكارم الأخلاق بطريق النهي عن أضدادها والتحذير مما ينجم عنها من شرور؛ وقد اختار الله سبحانه طريق النهي ليكون أولا: كل واحد منها دالا على بقية نوعه ومحذرا في الوقت نفسه من عكسها[3]؛ فالنهي عن شيء أمر بضده، وفعل المأمور يلزمه ترك المنهي عنه كما تقرر عند جمهور الأصوليين؛ ولتتضح ثانيا: أحكام الأوامر بالنواهي كما تتضح أحكام النواهي بالأوامر، إذ لكل مسألة من الأوامر وِزان من النواهي وعلى العكس[4]؛ وليتأكد ثالثا: بأن اعتناء الشرع وتركيزه على اجتناب المنهيات أقوى وأشد من اعتنائه وتركيزه على فعل المأمورات؛ ولذلك اعتبر العلماء أن النهي يأتي للتحريم والأمر يأتي للاستحباب ما لم يقترن بدليل وجوب؛ وهذا يعني أن الامتثال للنهي لا يحصل إلا بترك الجميع وأن الامتثال للأمر يحصل بقدر الاستطاعة؛ فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا وإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم**[5].

ومعلوم أن في اجتناب المنهيات، اجتناب للمفاسد والضرر المخالف لحكمة الشارع من النهي؛ وتحقيق للمصالح والخير وتوجه إلى إنفاذ القيم وترسيخ الأخلاق الحسنة، بإعمال القواعد والضوابط الشرعية في

---

1 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج: 29، ص: 64
2 - قول لعبد الله بن مسعود ورد في الأثر
3 - (ينظر) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج: 26، ص: 218- 219
4 - (ينظر) ابن قدامة، روضة الناظر، ط:2، جامعة الإمام، 1399 هجرية، ص: 226
5 - حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما

الاقتصاد والمال، وعلى رأسها القاعدة الكبرى" لا ضرر ولا ضرار"وما يندرج تحتها من قواعد فرعية، يتسع مجال تطبيقها لكل جوانب الاقتصاد وأبواب المعاملات المالية؛ وليس أقوى دليلا على هذا من تحريم الربا، فتحريمه من جهة، منع لكل ظلم وشر يخطر على بال وإن صغر، وابتغاء من جهة ثانية، لكل عدل وخير يخطر على بال وإن قل؛ ولخطورة الربا حرمه اليهود بينهم، وحرمته النصرانية في أصولها، وأنكره واستبشعه الفلاسفة والمشرعون والمفكرون قديما وحديثا؛ مثل واضع قانون أثينا، أحد حكماء الإغريق السبعة: سولون، ومؤسس الفلسفة الغربية: أفلاطون، الذي نهى عنه في كتابه (القانون)، وأرسطو الذي صرح بأن النقد لا يلد النقد[1]؛ ولنفس خطورة الربا استمر استنكاره واستقباحه من طرف كل عقل سليم إلى اليوم؛ وهكذا في تحريم الاحتكار والتدليس والتطفيف والاكتناز والرشوة والخمر والبغاء والميسر.. وكل صور البيع المحرمة وأكل أموال الناس بالباطل، وكل موبقات الاقتصاد التي أصبح ضررها اليوم على الفرد والجماعة والدولة عين اليقين.

إن اقتران الأخلاق بكل جوانب حياة الإنسان من خلال دستور الأخلاق الذي جاء في القرآن والسنة عموما، ومن خلال نواهي سورة الحجرات وباقي نواهي آيات وأحاديث الأخلاق على وجه الخصوص، معناه أن: "رسالة الإنسان في هذا الكون هي ملء الوجود بالقيم"[2]؛ وهي في ذات الوقت بدلالة الاقتضاء، رسالة في هذا الكون لتنقية الوجود من الرذائل والسوءات، ولذلك من المنتظر، بل من المفترض في واقع الناس عموما وواقع المسلمين من باب أولى – كما يفهم من كلام عبد الله دراز – أن يمارس النفوذ الأخلاقي واجبه على كيان الإنسان[3]في كل زمان ومكان.

[1] - (ينظر) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، يوسف القرضاوي، ط:3، مكتبة وهبة، القاهرة، 2008م، ص: 283

[2] - إسماعيل الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، دار البحوث العلمية، 2010م، ص: 122

[3] - عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ص: 678

أهمية توظيف اللغة العربية في التدريس

من أجل تجويد مخرجات العملية التعلمية

حافظ لصفر مزداد

بكالوريوس في شعبة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع

ماجستير ادارة الموارد البشرية وماجستير في الادارة التربوية وماجستير في القيادة

باحث دكتوراه في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع

تُدَبَّر العملية التعليمية – التعلمية في تخصصات متعددة وبكل المستويات الدراسية عن طريق استعمال اللغة، هذه الأخيرة تعد قناة رئيسة في إيصال الخطاب التعليمي – التعليمي الذي يحقق ثنائية الفهم والإفهام من لدن المدرس والمتعلم وفق تخطيط مدروس يتلاءم مع كل تخصص، ويحقق أهدافه بأبسط الطرائق وأفضلها.

ولعل العملية تزداد تعقيدا عندما تكون اللغة وسيلة وغاية معا، إذ يكون لاكتسابها دور في توصيلها والعكس صحيح، ومن ثم ينبغي أن تكون لغة التعليم تجمع بين التبسيط وسلامة الأداء لتنسجم مع لغة المضامين الدراسية المقررة، والتي تشترك في تقديم محتوى اللغة العربية بمتون (نصوص) أدبية ذات مستويات بلاغية يجد فيها المتمدرسون صعوبات كثيرة نتيجة لانتشار العامية وتداخلها مع الفصحى التي تدرس بها المقررات، وتزداد الهوة مع استعمال المدرسين لمزيج لغوي من لغة المقر "الفصحى" والعامية أو الأمازيغية (الازدواجية اللغوية)، ومن هذه المنطلقات الواقعية، سأقارب خصائص ومميزات لغة التعليم لتحقق أهدافها ضمن شروطها العلمية في واقعنا التعليمي من ناحية الأبعاد الحجاجية – الاستدلالية لتكون مفهومة ومقنعة، ومن ثمة تحقق الهدف المنشود منها، والمتمثل في إكساب المتعلمين الجدارات "الكفايات" اللغوية والتواصلية اللازمة لجعل اللغة العربية الفصحى لغة للتواصل في المدارس، مما يحتم طرح التساؤلات التالية:

– ما خصائص لغة التعليم المناسبة والهادفة لتجويد التعليمات بالمرحلة الابتدائية؟ ألا تقف اللهجات العامية (الأمازيغية – الحسانية – الدارجة العربية) معيقا لكل عمل تعلمي – تعليمي يجود العملية التعليمية؟

– كيف يمكننا أن نجعل لغة التعليم وسيلة لإيصال المعارف باختلافها لدى المتعلمين؟ ثم كيف تكون وسيلة للتعبير عن مختلف الأفكار والحاجيات لدى المتعلمين؟

– هل تؤثر اللغة المتفصلة (من لدن المدرسين والمتعلمين) في صفوف التدريس على مستوى اكتساب اللغة وفهم محتويات المقررات الدراسية؟

– ما المعايير والشروط اللغوية التي تمكّن المدرس من أن يكون متكلما مثاليا مستعملا للغة العربية الفصحى داخل الصف، وما الطرائق الفعالة التي يتبعها للتأثير في أفهام المتعلمين وأذهانهم وتوجيه مدركاتهم وقدراتهم؟

اتبعت في كتابة المقالة البحثية منهجا وصفيا اهتم بالخطاب المدرسي في مرحلة السلك الابتدائي لدى أساتذة اللغة العربية، وذلك من خلال المقارنة بين لغة النصوص المبرمجة في المقرر الدراسي واللغة المتفصلة المستعملة (المنطوقة) لدى أساتذة المادة التي تتطلب منهم تقريب المعلومات باستعمال الدارجة، في حين يتمسك بعضهم بلغة فصيحة بسيطة باستعمال الأدوات والآليات الحجاجية: كالوصف والتفسير والحجاج والدحض والنفي والإثبات... بنصوص مألوفة لإيصال المعلومة والمعرفة دون تجاوز اللغة المدرسية الرسمية، وهي قضايا متداخلة تستلزم من الباحث في ميدان علوم اللغة ضرورة الوقوف على أهمية التكوين في اللغة التعليمية وتحصيل أساليب الخطاب وفنونه المتناغمة مع مستويات المتعلمين وقدراتهم، وضبط الجدارات (الكفايات) المراد بلوغها وبالحيّز الزماني والمكاني لتحقيق التواصل التعليمي بين عناصر العملية التعليمية – التعلمية وهي: المدرس/ المتعلم/ المحتوى التعليمي /العلاقة التداخلية بين العناصر الثلاثة.

إن الدراسات اللسانية الحديثة بكل فروعها وتخصصاتها وإنجازاتها اللغوية العلمية والتعليمية، كان لها الأثر البالغ في حل الكثير من المعضلات المتعلقة باللغة عموما، ولعل أهم ما يمكن رصده عمليا هو ما قدمته هذه الدراسات على المستوى التعليمي للغات، ونظرا للأهمية التي تكتسيها عملية تعليم اللغات باعتبارها المفتاح لتعلم المعارف الإنسانية، ولكل ما يتعلق بها من جهة، وما تطرحه تعليمية اللغة من صعوبات ومشاكل من جهة أخرى، توجهت اهتمامات الباحثين إلى تعميق الجهود لتتبع هذه المشكلات للبحث عن حلول لها، ومن الطبيعي أن تكون الدراسة اللسانية أكثر الميادين الملائمة لكل ما يتعلق بدراسة اللغة، فقد قدمت اللسانيات مناهج لغوية متنوعة لتعليم اللغات للناطقين بها والناطقين بغيرها

والبحث في طرائق اكتسابها، وما يتعلق بها من صعوبات والبحث عن حلول لها، لذلك ارتأيت في المقالة بسط ما وفرته اللسانيات التداولية، وما يمكن أن تقدمه لتعليم اللغة أو اللغات باعتبارها منهجا فرض نفسه، وأثبت نجاعته في قراءة النصوص الأدبية وتحليل الخطابات التواصلية، كما أنها قد أحدثت الأثر الكبير في الجوانب التعليمية سواء تعلق الأمر بتعليمية اللغة الأم أو اللغات الأجنبية، وذلك لأن التداولية منهج يقوم على ثنائية الاستعمال والتواصل، وإنجاح العملية التعليمية باكتساب المعارف اللغوية وغير اللغوية يعتمد أساسا على هذين الثنائيتين، باعتبار أن عناصرها الأساسية: (المدرس والمتعلم ومادة التعلم) تحتاج في تأدية وظائفها على التواصل بين أطرافها، فالمدرس (الملقي) والمتعلم (المتلقي) والمادة اللغوية (المضمون التعليمي) وتفاعلاتها الإيجابية، وقد تتغير العلاقة، فيصبح المرسل متلقيا والمتلقي مرسلا إذا كان المتعلم في حالة إجابة عن سؤال أو تحرير تعبير شفوي أو كتابي أو تعليق أو كتابة تقرير... كما أن للغة طابعها الرمزي المبدع الدال لقول إميل بنيفينيست (الرمز ليس له علاقة طبيعية بما يرمز إليه، فإنه لابد من توفر القدرة على تأويله في إطار وظيفته الدالة)[1].

١ – واقع اللغة الوصفية في التعليم:

قبل الخوض في الحديث عن لغة التعليم وخصائصها الابستمولوجية والإجرائية، وكيف ينظر إليها من ناحية الاستثمار والتوظيف والفهم لدى المتعلمين، يجدر بنا أن نبين الفرق بينها وبين لغة العلم، إذ كثيرا ما يؤدي التداخل بين المفهومين أو جعلهما متطابقين إلى إحداث إشكاليات على مستوى الخطاب النظري والتطبيق، ومما يتفق عليه في هذا الصدد أن الخطاب العلمي يختلف عن الخطاب التعليمي، ويكمن ذلك في قضية فاعل الملفوظ وفاعل التلفظ، فالخطاب التعليمي يسعى إلى تأكيد شخصية الباحث الذي يتحدّد بمقابلته مع الدراسات الأخرى، فالضمائر الشخصية مثلا ليست نفسها في الملفوظين[2]؛ أما على مستوى الملفوظات، فالخطاب العلمي شكله كالتالي: "تقول بأنّ س هو ع، وأقول أنا س هو ص"، أما الخطاب التعليمي فشكله كالتالي: "ص هو ع"[3]، وانطلاقا مما سبق، يمكننا القول إن الخطاب التعليمي عموما باعتباره ممارسة فعلية خاصة للغة العربية الفصحى يثبت من جهة كلاما بدون فاعل (علمي)، وفي الآن ذاته هو كلام مشروط ومقيد (تعليمي وتربوي)، أي "أنا = أنت" و"أنا مقابل أنت" في آن

[1] - اميل بنفينيست "قضايا اللسانيات العامة" غاليمار باريس 1996 ص 27

[2] Bouacha , Le Discours universitaire. - Berne, Peter lang, 1984p. 62.

[3] IBID. p. 62.

واحد . كما أنه (الخطاب التعليمي) يوجه إلى متلقين متعددي المشارب والتنشئة الاجتماعية والثقافية (بصورة التعدد والتنوع)، وليس إلى متلق أحادي البعد أو نمطي . ويتأسس على هذه الطريقة حتى يكون واضحا لدى المخاطب (المتعلمين) الذي يشارك في تحقيق العملية التبليغية مع المرسل (المدرس) الذي يملك حق القول والكلام ووجوب الشرح، فهو بهذا الخطاب يحقق وظيفتين هما : وظيفة تعبيرية ووظيفة معرفية – ثقافية طبق مقولة كلود ليفي ستراس (اللغة هي الأداة الأساسية والوسيلة المتميزة التي نتمثل بها ثقافة الجماعة التي ننتمي إليها)[1]، ويحتاج معهما إلى توجيه الخطاب وتعيينه لتحقيق الدقة والوضوح .

إن اللغة في الحياة البشرية (ومنها لغة التدريس) ظاهرة اجتماعية يتم اكتسابها واستعمالها وتداولها يوميا (مرتبطة بالاستعمال الجمعي) يقول كلود ليفي ستراس : (الطفل يتعلم ثقافة الجماعة التي ينتمي إليها، لأننا نكلمه ونتحدث إليه)[2]، ذلك أن من الأمور البالغة الأهمية في حياة البشر ظاهرة التواصل اليومي، والتي تجري بين الناس رغم اختلافهم الفكري والعقدي والسياسي . . . ، فالتواصل متعدد الأوجه بين أفراد البشر من حيث الوسائل المتنوعة، وتعد أفضل وسيلة وأسماها هي اللغة، فحَدُّها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3]، وفي مجال التعليم يعد استعمال اللغة أمرا مهما، نظرا لما يترتب عنه من أهداف مسطرة ونتائج منشودة ومتوقعة، وإن لم تكن دقيقة التحقق "نسبيا" ، وتسعى البرامج التعليمية في الوطن العربي إلى حد ما تقديم المقررات باللغة العربية الفصحى باعتبارها أداة اتصال داخل المدارس رغم تعدد اللهجات في كل دولة عربية، مما يجعل عملية الانتقال إلى لغة مدروسة ديالكتيكية بكل مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية، وما تحفظه من تراث وعقيدة (غير متداولة في الحياة الاعتيادية) أمرا صعبا لاعتمادها كوسيلة لنقل المعارف والعلوم، إذ هي نفسها تُعدُّ هدفا للدراسة والتعلّم تحتاج لإدراكها، واستيعاب نظامها بكل مستوياتها إلى إطار زماني يسمح بالإحاطة بها أولا، ثم اكتسابها باعتبارها ملكة تُستثمر في مختلف الوضعيات التعملية، وقد أدى ذلك ببعض الباحثين في مجال العملية التعليمية – التعلمية إلى الدعوة إلى اعتماد اللهجات كلغةٍ للتعليم رغم ما في ذلك من سلبيات على مستوى التطبيق والنتائج، كما أن اللهجات في معظمها لا تنضبط لسنن وشفرات (لسان) واضحة، وهو أمر عانت منه أيضا الدول المتقدمة كأمريكا وبريطانيا مثلا، وما شهداه من نقاش في هذا الموضوع،

---

[1] كلود ليفي ستروس "حوارات مع شاربوني بلون باريس 1996 ص 184

[2] - كلود ليفي ستروس "حوارات مع شاربوني بلون" باريس1969 ص184

[3] ابن جني، الخصائص.ج2، ص34

فتمخض عن ذلك فريقين أحدهما يدعو لاعتماد الإنجليزية الفصيحة نمطا لغويا للتعليم لدمج الطفل ذي اللهجة المحلية في المجتمع الأكبر[1]، وهذا النقاش مازال مطروحا في عالمنا العربي بخصوص اعتماد العربية الفصحى كنمط لغوي في التعليم، ومن ثم نجد لغة تعليم تحاول أن تكون وسيطا لتعلم اللغة في ذاتها بكونها هدفا ووسيلة لتحصيل المعارف والعلوم في الآن ذاته، وبذلك تحمل مجموعة من الخصائص تجعلها تتصف بأنها لغة استدلالية في أشكالها الخطابية باعتبار أن كل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعدا حجاجيا[2]، فإذا فقدت اللغة العربية هذا البعد في استعمالها داخل الفصول الدراسية، فإنها تبقى بعيدة عن مسؤولية حمل المعارف والأفكار التي تتعلق بجميع الفروع الأدبية والعلمية المقررة للمتعلمين في جميع المستويات، وهكذا فإن أهم الغايات من تعليم العربية يتمثّل في تفعيل وتوسيع مجالات توظيفها (خاصة في المواد الرياضية والعلمية) بشكل عملي يجعلها تتدخل في بلورة آراء وسلوكيات المتكلمين أو المتلقين عن طريق التأثير فيهم بحملهم على الوصول إلى نتائج تم التوصل إليها، والاقتناع بها، وهذا ما نلمسه في الخطاب التعليمي، فالمتكلم (المدرس) يحاول إقناع المتلقي (المتعلمين) بالنتائج التي توصلوا إليها في المجال الذي يتحدث فيه، وعملية الإقناع هذه تتجلى من خلال الأساليب اللغوية التي تتدخل في تحديدها، وهذا ما يثبته القول الآتي : "إن التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما، ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها"[3].

٢ – تفعيل لغة التعليم ببعدها الحجاجي – الاستدلالي :

تتمتع اللغة في جميع الميادين بعدة خصائص إجرائية وأسس معرفية تمكنها من أداء وظائفها التي تناسب المجالات الاستعمالية لها، ومن ضمنها ما تتمتع به من أبعاد استدلالية تدفع المخاطب إلى الاهتمام بقصدية المتكلم، فتنقله من مستوى الإقناع إلى مستوى التأثير ليقتنع بكلامه، بل ويتبنى ما جاء فيه ويتفاعل مع أهدافه ومراميه، ومما يمكن رصده في هذه الدراسة حجاجيه لغة التعلم، وما تتطلبه هذه اللغة من تقنيات إجرائية ليكون خطابها فاعلا بثنائية "التأثير والإقناع" .

---

[1] عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. ص95.

[2] الحواس مسعودي، علم النص "البنية الحجاجية في القرآن الكريم"، مجلة اللغة والأدب العربي (ملتقى)، العدد 12، ديسمبر 1997.ص.330.

[3] Ducrot et Anscombre , Argumentation dans la langue - Bruxelles, (1983), p.9.

صنف "رون بنوا" خطابات اللغة ووضع لها مقاييس في سياق ما يميز النص الحجاجي عن غيره، فقد أشار إلى عدة أمور وشروط لكي يكون النص حجاجيا، تتلخص فيما يلي[1]:

١– أن يكون النص له قدرة حجاجية تأثيرية في المتلقي، وقد أسماه (القصد المعلن).

٢– أن يكون مستثمر النص الحجاجي وموظفه عارفًا بسيكولوجية مخاطبه وثقافته، وأن يكون حاملاً لطاقة بيانية إيجابية وقوية تؤثر في المتلقين.

٣– يسعى مبدع النص الحجاجي إلى البرهنة التي إليها ترد كل التقنيات كالإقناع والاستدلال، ويعمل على دراسة مؤهلات المتلقي وثقافته الفكرية والعاطفية والعقدية وإيمانه بالأشياء، فيأخذ بعين الاعتبار تعدد المواقف واختلافها وتنوعها "فلسفة الاختلاف"، فيعد الآليات الحجاجية التي يعتمدها بالدلائل والبراهين التي تؤثّر في المخاطبين وتغير اعتقاداتهم، فلا يمكن اعتبار كلّ خطاب حجاجيا، فالأخير يظهر في أوقات الشك والالتباس، لذلك يعمد صاحب الخطاب إلى إشغال فكره من أجل كشف ما التبس عن المخاطبين والتأثير فيهم من خلال تبسيطه وإيضاحه، وعلى ضوء هذه المقاييس، يمكننا وضع الخطاب التعليمي (النصوص والكلام) ضمن النصوص الحجاجية بجدارة لكونها تنجز من أجل التأثير والإقناع بوجود متلق من نوع خاص، وذلك على اعتبار أنه يحتاج إلى هذا الخطاب كي يتمكن من تحصيل المعارف والعلوم التي تم إقرارها له ضمن تخطيط تعليمي قصير أو متوسط أو بعيد المدى، ولذلك نجد الجهود تكثف في وضع المناهج والبرامج التعليمية مع التركيز على القناة الأساسية وهي اللغة ومواصفات تدريسها، فتوضع معايير محددة درست بعناية لتنسجم مع الأهداف التي برمجت لها، وهو ما ينعكس على لغة المدرسين التي يسعون من خلالها إلى جلب انتباه المتعلمين وإيصال الأفكار والدلالات بأبسط الطرائق وأنجعها، بل لا نكاد نجد مدرسا ناجحا يدخر جهدا لغويا باستعمال ما لديه من رصيد معرفي في اللغة العربية ليستثمره في خدمة متعلميه ليصل بهم إلى الجدارات المسطرة في الوحدات التعليمية أو المحاور والمجزوءات والمواضيع المقررة في البرامج والمقررات الدراسية.

٣ – خصائص لغة التعليم ومميزاتها بين المكتوب والمنطوق:

[1] - محمد العربي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، إشراف د.: عبد الخالق رشيد، الجامعة اللسانية. وهران، الجزائر، 2008 - 2009. ص.16.

تعتمد كتب اللغة العربية في المرحلة الابتدائية على المقاربة النصية في تناول الوحدة اللغوية، وبهذا كان النص المنطوق أو المكتوب يمثل البنية الكبرى التي ظهرت فيها كل المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدالية والدلالية والأسلوبية، ومن خلاله يتم إنماء كفاءات ميادين اللغة الأربعة: فهم المسموع، والتعبير الشفوي (التحدث)، وفهم المكتوب، والتعبير الكتابي[1]، ومما نرصده في هذا السياق غياب الكفاءة بين المنطوق والمكتوب في ميادين التعليم، فنجد اكتساب المكتوب أكثر تحققا من المنطوق، ليس على مستوى المعارف، وإنما على مستوى الكفاية اللغوية التواصلية، ذلك أن المنطوق أكثر أهمية، لكونه أداة التواصل الأساسية، وارتبط به الطفل قبل المدرسة في اكتسابه للعامية، فيحدث الاحتكاك بين اللهجة العامية واللغة، وكأنهما لغتان، وهذا ما تحدث عنه ابن خلدون في فكرة التنازع بين ملكتين هما: ملكة الفصاحة الفطرية التي تنمو عند الطفل العربي منذ نشأته، حيث لم يعرف إلا العربية الفصحى واللهجة المتداولة. إذ يقول في مقدمته: وإذا تنازعت ملكتان تعذر أن تتم الملكتان معا، مثل: البربري الذي يتعلم العربية، ولا يمكن للعربية أن تتسيد على لسانه...، فالألسن واللغات وملكاتها لا تزدحم، ومن سبقت له إجادة في صناعة، فقل أن يجيد في صناعة أخرى[2]، فوظيفة اللغة أو الكلام هي التأثير في الآخرين أكثر من السعي إلى مجرد الإخبار أو الإعلان، فهذا يعني أنه من الصعوبة بمكان أن نفهم كليا خطابا ما، إذا اكتفينا بإرجاعه إلى صاحبه، ويعني كذلك أن نأخذ بالحسبان الثنائي الذي يشكّله المخاطِب والمخاطَب، ولذلك وجب تدريس اللغة العربية في بعدها التداولي الذي يربط اللغة بالحياة والتوظيف عن طريق "إكساب المتعلم مهارات حياتية كالتعاون والعمل والنظرة الإيجابية للحياة" داخل مجال مؤسساتي له قواعده اللسانية لقول استولد دوارو "لا ترتد العلاقات بين الذوات المتكلمة إلى التواصل بمعناه الضيق، أي إلى تبادل المعارف، بل تندرج تحت هذه العلاقات أنواع كثيرة جدا من العلاقات البشرية ويضع اللسان لها إطارا مؤسسيا يقدم لها الأساس الذي تقوم عليه"[3]، ومن خلال مبدئها العام المتمثل في أن الوظيفة الأساسية لأي لغة طبيعية هي التواصل في سياق القواعد اللسانية المؤسسية، وهذا الربط له دوره في إعادة الحيوية للغة العربية، وإخراجها من نطاق اللغة الأدبية المكتوبة إلى فضاء أرحب وأوسع، يشمل كل ما له

[1] - بن الصيد بورني سراب، اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ص3.
[2] - عبد الرحمن بن خلدون "المقدمة" الباب السادس ص 352
[3] - اوسولد دوكرو "ما يقال وما لا يقال هرمان 1972 ص 4

صلة بالحياة العملية والعلمية[1]، لأن استثمار المفاهيم التداولية في تعليم اللغة والتعلّم بها يقوم على ثنائية مهمة في تعليم اللغة تكمن في الاستعمال والتواصل، مما يسهم في إنجاح العملية التعليمية باكتساب المعارف اللغوية وغير اللغوية التي تعتمد أساسا على هذين الثنائيتين، باعتبار أن عناصره الأساسية (المدرس والمتعلم ومادة التعلم) تحتاج في تأدية وظائفها إلى التواصل بين أطرافها، فالمدرس (ملقي) والمتعلم (متلقي) والمادة اللغوية مضمون التعلم، وقد تتغير العلاقة، فيصبح الملقي متلقيا والعكس صحيح إذا كان المتعلم في حالة إجابة عن سؤال أو تحرير تعبير شفهي أو كتابي، وهي أشكال الخطاب أو الحوار في التدريس، وهكذا يمكننا رصد هذه العلاقة في ضوء المقاربة التداولية التي تبحث في تحليل الخطاب وفق ثنائية الملقي والمتلقي ضمن نظرة تكاملية تأسست انطلاقا من استراتيجية اللسانيات التداولية التي تعنى بخصائص اللغة وظيفيا، وهو ما نحتاجه في تفعيل العلاقة بين عناصر العملية التعليمية – التعلمية، خصوصا لغة التعليم (المنطوقة والمكتوبة) باعتبارها وسيلة ذات فاعلية تأثيرية موجهة للفهم والإدراك .

٤ – اللغة وبعدها التواصلي في المحيط المدرسي :

يعرف ابن خلدون اللغة عموما بأنها : "عبارة عن فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[2]، كما يقول في ذات السياق أيضا : "اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب"[3]، ولعل أهم المشاكل التي تعترض المتعلمين في شتى المراحل الدراسية، هناك مشكلة المواد الأدبية خاصة منطلقها، عدم التمكّن من الملكة اللغوية، إذ ينتقل الطلاب من مستوى إلى آخر رغم نقص التحصيل على مستوى اللغة، وغالبا ما يكون للمعينات ووسائل الايضاح عند الأساتذة دعم كبير للمتعلمين لفهم المقررات واجتياز الاختبارات، مما يجعل التمكن من استعمال العربية الفصحى شيئا ثانويا عند بعض الدارسين، وهو ما يدفعهم للبحث عن أسباب أخرى غير لغوية لتراجع مستويات المتعلمين، بل قد يحصرونها في الجوانب البيداغوجية أو النفسية أو الاجتماعية، وهي أسباب موجودة

[1] - يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، (أطروحة دكتوراه) جامعة قسنطينة، 2006، ص 547.
[2] - ابن خلدون، المقدمة. ط1.ج.3/237
[3] - نفس المصدر. ج 3/250.

بالفعل لكنها لا تغني عن التحصيل اللغوي الذي يذلل صعوبات الفهم ونقص الاستيعاب للمعارف والمفاهيم، وهذه الملكة أكدها ابن خلدون في قوله: "تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك... فإن القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة في محلها"[1]، وعليه يعد إكساب المتعلم القدرة التي تمكّنه من الاتصال اللغوي الواضح السليم أحد أهم الأسباب المهمة لتعلم اللغة؛ سواء أكان هذا الاتصال شفهيًا أو كتابيًا، ويمكن أن يتحقق هذا الهدف من خلال مهاراتها الأربع: الاستماع – التحدث – القراءة – الكتابة؛ باعتبارها أركان الاتصال اللغوي، فاللغة العربية كل متكامل يتأثر كل فن من فنونها بالفنون الأخرى[2]، وهكذا تبرز قدرات المتعلمين في طريقة التعبير اللغوي عن مكاسبهم العلمية والفكرية، هذه الأخيرة التي تعتبر مرآة تنعكس فيها، ولو بشكل غير مباشر، ملابسات وظروف مستخدميها وأوضاعهم الثقافية والحضارية، فيتحول حينئذ درس اللغة العربية فيما معناه الى درس أحوال الثقافة والحضارة العربيتين، وفي هذا الإطار تنتعش شروط المقابلة بين اللغة العربية وثقافتها من جهة، واللغات الأجنبية على اختلاف ثقافاتها وتعددها الحضاري من جهة ثانية[3].

٥ – لغة التعليم والأداء بالصفوف الدراسية:

يؤثر تعدد اللسان للشخص الواحد كثيرا في تمكنه من لغة محددة وتوظيفها بشكل متقن، ولعل ذلك يظهر أكثر لدى المتعلمين العرب عندما ينتقلون إلى المدرسة بعادات وحمولات لغوية وثقافية متنوعة تتمثل في لهجات مختلفة، وإن كانت تعود في أصلها إلى اللغة العربية الفصحى، إلا أنها تعد لغة ثانية لارتباطها بالممارسة والتداول اليومي، لذلك تحتاج إلى تفعيل القدرات والأدوات داخل الأقسام والفصول الدراسية لتكون وسيلة تواصل وتعبير عن مختلف المعاني والأغراض التي يحتاجها المتعلمون، ومن ثم يمكننا القول إن نجاح العملية التعليمية مرتبط بمدى نجاح إكساب المتعلمين لغة صحيحة تمكنهم من فهم المقروء والتعبير عن الأغراض والأفكار في المواقف المختلفة، ويجب أن تتمتع اللغة داخل الصفوف الدراسية بمجموعة من الخصائص لكي تساعد على استثمارها بمرونة وسلاسة وتلقائية دون اللجوء إلى العامية، وما

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة. ج3. ص. 265.
[2] - علي مذكور، تدريس فنون اللغة العربية. ص. 9.
[3] - الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية. دار توبقال للنشر. المغرب.1985. ص. 194.

يختلط بها من لغات أجنبية (كالعامية في الدول المغاربية وما يشوبها من استعمال الفرنسية والاسبانية التي تعد من مخلفات الاستعمار "المثاقفة")، من هذه الخصائص ما يلي :

- أن تكون لغة التعليم لغة واضحة ومستوعبة .
- أن تكون لغة قصدية وتستهدف فئات معينة من متحدثي اللغة .
- أن تكون هادفة تحمل المعارف والعلوم التي تدرس في كل مرحلة أو مستوى دراسي .
- أن تتضمن لغة التعليم أدوات أكثر تأثيرا وإقناعا، من ضمنها أدوات التوكيد والتقرير .
- أن تحمل هذه اللغة في مضامينها الأشكال اللغوية المناسبة لمستويات المتعلمين ليسهل ترسيخها في أذهانهم والنسج على غرارها .

٦ – أهمية تفعيل اللغة العربية ودورها في تجويد مخرجات التعليم :

يجب أن تتسم لغة التعليم بمجموعة من الخصائص لتكون ذات فاعلية في الفهم والاستيعاب، إضافة الى دورها في عمليتي التحصيل والاكتساب، وتتمثل هذه الخصائص شكلا ومعنى على الشكل التالي :

- أن تكون لغة بسيطة في بنائها وتراكيبها وأسلوبها مع المحافظة على صفات الدقة والفصاحة والبيان .
- أن تحتوي على مستويات متفاوتة تراعي مستوى المتعلمين في كل مرحلة أو مستوى دراسي، وتناسب قدراتهم الاستيعابية ومراحل نموهم النفسي والعمري .
- ضرورة انسجام لغة الكتاب المقرر ولغة الحوار والنقاش داخل الصف لكي لا يحدث شرخ بين المنطوق والمكتوب .
- أن تستمد نماذجها وأنماطها التوظيفية من المؤلفات والأعمال الأدبية المعاصرة التي تتوافق مع إدراك المتعلمين للواقع المعاصر بمستجداته ومتغيراته المتسارعة خاصة في ضوء النقلة التكنولوجية القوية، والتي تفرض ضرورة مواكبة اللغة العربية لهذا التقدم التقني والكمي إلى جانب الكيفي، كما تصوره الفيلسوف الألماني هربرت ماركيوز في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد" .

٦ – ١ فاعلية اللغة وجدواها في تسهيل عمليتي الفهم والاكتساب :

تسعى الهيئات المشرفة على برمجة المقررات التعليمية إلى التركيز على لغة التعلم والتعليم من عدة جوانب شكلية ومعنوية لتحقق الهدف من توظيفها واستثمارها، والذي يتمثل في تحقيق التواصل بين

المتعلمين ومواد التدريس على اختلافها مع احترام خصوصية اللغة لكونها الوسيلة والهدف في الوقت ذاته، فقبل الاكتساب تكون هدفا في سنوات التعليم الأولى، لتتحول بعد ذلك إلى وسيلة حاملة للمعارف على اختلافها (العلمية والأدبية) .

تمثل اللغة داخل الفصول حوارا بينيا ومتعددا، بين المدرس والمتعلم أو بين المدرس والمتعلم والمقرر الدراسي، وهو ما يبوئها مرتبة سامية في العملية التعليمية – التعلمية، إذ تؤثر سلبا أو إيجابا بحسب فاعلية توظيفها واستعمالها من لدن أطراف هاته العملية، وعادة ما يسعى المدرسون (ذوي مهارات وكفاءات مناسبة) في جميع مستويات التعليم إلى اختيار لغة مستمدة من المقررات، وتتلاءم مع مبادئ اختيار عملية منها[1] :

- مستوى المتعلمين والاستعداد لتعلم اللغة .
- دافعية وقابليات التعلم لدى المتعلمين .

وبهذا يتم النقل الديداكتيكي للغة بصيغة تفاعلية متعددة الجوانب لتحقق اكتساب المهارات اللغوية المناسبة كهدف رئيسي من التعلم (تتحقق بواسطة اللغة)، كما ينسجم مفهوم اكتساب المهارات مع مفهوم تحصيل المعارف، كما جاء في بعض التعاريف لعملية التعلم على أنها "نشاط يهدف إلى اكتساب المهارات والحصول على المعرفة الجديدة، فالإنسان هو المقصود في هذه العملية، بالرغم من قدرة الحيوانات على التعلّم، وتتحقق هذه العملية التعليمية عند انعكاسها على السلوك والقيم والأفكار وغيرها"[2]، فاللغة هي العمود الفقري لكل تعلم وأداء ناجحين، ومفتاح لكل فهم سليم للمواقف والوضعيات الصفية والحياتية التي يجابهها المتعلم ويعمل على حلها، باعتبارها حاملا ثقافيا بين الأجيال .

٦ – ٢ فاعلية اللغة في تجويد التعلمات :

يتم توظيف اللغة في مجال التعليم على نحو إقناعي وإفهامي لتوجيه اهتمام المتلقي (المتعلمين) لتبليغ ما برمج من معلومات بشكل تفاعلي عن طريق مجموعة من الآليات الموجهة للخطاب التعليمي، فيلجأ المدرس إلى استعمال ما تمنحه اللغة من إمكانيات متعددة منها : الصوتية والصرفية والنحوية والإملائية والمقامية والحالية والوصفية والجمالية والتعبيرية، ويقول في هذا الصدد عبد الفتاح كليطو "اللغة هي

[1] - عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. ص 93. بتصرف.
[2] - د. علي حسين حجاج، د. عطية محمود هنا، نظريات التعلم، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978. ص. 7 (بتصرف).

الضيفة، ضيفة مشاكسة تحل عنده دون استئذان فتتملكه وتسكنه على الرغم منه" [1]...، وذلك لإيصال الأفكار بطريقة صحيحة وواضحة، ولتحقق التقبل والاستيعاب لدى المتعلمين باختلاف الوضعيات والأحوال التعليمية في كل مرحلة ومستوى دراسي، وما بينها من قواسم وتقاطعات معرفية ولغوية ومهارية ووجدانية، ومما يمكن رصده في هذا المضمار هو العلاقة بين ذهن المتلقي (المتعلمين) والأفكار أو المعارف المراد تبليغها عبر الوسيلة المرنة المتمثلة في اللغة بمعاييرها الاستعمالية مع الحفاظ على قواعدها التي تكفل الوضع والسياق والمقام الاستعمالي لها، فوساطتها في مجال نقل المعارف والمعلومات والمشاعر تتطلب كمية من الإقناع والمحاججة، حيث تُستثمر فيها جميع الإمكانيات اللغوية وغير اللغوية المساعدة لتحقيق غاياتها من التحصيل، فتعريف الاستعارة مثلا في درس البلاغة يستلزم أمثلة متعددة لاستنباط القاعدة وفهمها، ومن ثم إنتاجها بأشكال إبداعية لدى المتعلمين، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم التحصيل، ومفهوم الشجاعة أو الكرم وقيمتهما الإنسانية يتطلب نصا كاملا يحتوي أحداثا وحوارا وبداية ونهاية للأحداث لكي يؤثر فيه كل ذلك، ويقتنع بدور هذه الصفات في حياته وحياة البشر عامة، وهذا هو المطلوب من تدريس مثل هذه النصوص وتفعيلها على مستوى المنطوق لإضافة العناصر التأثيرية الجاذبة والتشويقية لدى المرسل للخطاب (المدرس) والمخاطب (المتعلمين)، وللإشارة فاللغة العربية بحروفها المعدودة يمكن أن يؤلف منها كلمات وجمل وعبارات ونصوص بشكل لا متناه يناسب الوضع والمقام التعليمي، ومهما اختلفت الوضعيات التعلمية المعالجة، فما على المدرس سوى اختيار الطرق والأساليب والأشكال الديداكتيكية المناسبة لعملية التبليغ مع مراعاة مدى تناسبها للمرحلة الذهنية والعمرية للمتعلم، ومن بين الوسائل لتسهيل هذه العملية استعمال التكنولوجيا الحديثة بلغة عربية سليمة أثناء إيصال المعلومة للمتعلم.

٧- الخاتمة: إن التركيز على لغة التعليم والتعلم في اكتسابها وممارستها، يمثل حلا لأغلب مشكلات التعليم، لكونها تعود أساسا إلى ضعف التواصل والحوار أو غيابه تماما، مع غياب منهجية محددة لتدريس اللغة وتحقيق الكفاية اللغوية والتواصلية، وذلك بسبب وجود عدة عوامل منعت مسيرة التدريس في عالمنا العربي بشكل ناجع ومجود بسبب تعدد اللهجات وكثرة الكلمات والمصطلحات الدخيلة الاستعمارية فيها، مما أدى إلى اكتساب الطفل لهذه اللهجة كلغة أم وحد من استيعابه وفهمه للعربية

[1] - عبد الفتاح كليطو "في ضيافة اللغة"، مجلة فلسفة، عدد مزدوج 7/8 سنة 1999 ص. 24.

الفصحى كلغة للمدرسة، بل تحولت الأخيرة الى لغة ثانية قد تحتاج من المتخصصين في حقل العملية – التعليمية الاستعانة بطرائق تدريس العربية للناطقين بغيرها وتعديلها بما يتلاءم مع الوضعية التعليمية، ويجدر بالذكر أن لغة التعليم يجب أن تركز على الجانب المنطوق كونه الأكثر فائدة، فمن خلاله تظهر الكفاية التواصلية والثقافية، ويربط من خلاله المتعلم بين مكتسباته اللغوية وحاجاته ومتطلباته المرتبطة بالمواقف والسياقات الثقافية المختلفة، واللغة العربية تحتاج جهود أبنائها لتطوير آليات تعليمها مستعملين ما أتاحته التكنولوجية الرقمية من إمكانيات هائلة لتمكينها من إثبات مكانتها كلغة تواصل علمي وتعليمي عالمية وكونية، وليست قومية فقط، فهي لغة القرآن الكريم العالمية، فما على أبنائها سوى تطوير سبل وطرائق وأساليب تعليمها للإنسان على الكوكب عن طريق مواكبة متغيرات العصر المتهافتة في مجال الرقمنة كوسيلة لتسهيل تعميمها في بعدها الكوني.

المراجع:

باللغة العربية

1. ابن جني، الخصائص، ت. محمد علي النجار، ط 4 الهيئة المصرية للكتاب. 1999.
2. ابن خلدون، المقدمة، ت: عبد السلام الشدادي، ط1. الدار البيضاء. خزانة ابن خلدون بين الفنون والعلوم والأدب.
3. ابن الصيد بورني سراب، اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
4. الحواس مسعودي، علم النص، "البنية الحجاجية في القرآن الكريم"، مجلة اللغة والأدب العربي (ملتقى)، العدد 12، ديسمبر 1997.
5. عبد الفتاح كليطو "في ضيافة اللغة" مجلة فلسفة عدد مزدوج 7/8 سنة 1999
6. عبده الراجحي، "علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية" الطبعة الاولى2004 بيروت، لبنان دار النهضة العربية.
7. علي أحمد مذكور، " تدريس فنون اللغة العربية"، طبعة 2008عمان. دار المسيرة.
8. علي حسين حجاج، د. عطية محمود هنا، "نظريات التعلم"، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.
9. الفاسي الفهري عبد القادر، "اللسانيات واللغة العربية" دار طوبقال للنشرطبعة1985 المغرب.
10. محمد العربي، "البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام"، رسالة ماجستير، إشراف، د. عبد الخالق رشيد، الجامعة اللسانية وهران، الجزائر، 2008 – 2009.
11. هيربرت ماركيوز "الانسان ذو البعد الواحد" ترجمة جورج طرابيشي دار الآداب الطبعة الثالثة 1988 بيروت لبنان
12. كلود ليفي ستروس "حوارات مع شاربوني بلون باريس 1996
13. اوسولد دوكرو "ما يقال وما لا يقال هرمان 1972
14. اميل بنيفينيست "قضايا اللسانيات العامة" غاليمار باريس 1996

باللغة الفرنسية

1. Bouacha, Magid Ali, **Le Discours universitaire** : La Rhétorique et ses pouvoirs Berne, Peter lang, 1984.
2. J. C Anscombre, O. Ducrot, **L'Argumentation dans** Langages, Année juin 1976, N° 42 pp. 5 – 27.
3. Argumentation et discours scientifique. Sous la direction de : Laurent Danon – Boileau.

مواريث النساء في الإسلام

جمانة محمد مراد

مدرسة اللغة العربية في ثانويات حماة بسورية - مدقق لغوي بمجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

لطالما كان الإرثُ في الإسلام يتوجّه إليه الانتقادُ تارةً من الأمم الأخرى جرأة وحسداً من عند أنفسهم، وتارةً من أبناء جلدتنا لجهلهم بحكمة الخالق الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وكلا الطرفين احتجّوا على حصة المرأة من الإرث، وزعموا أنّ الله قد بخسها حقّها سبحانه عما يصفون.

قد ناقشت الكثيرات منهن فكنّ ساخطات أغلبهن، وكنت دائماً أنهي نقاشي معهنّ بقوله تعالى: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** (الأحزاب: ٣٦).

ثم رأيت أن أكتب في هذا الشأن مقالاً لإظهار الحكمة التي قدّرها الله في ميراث النساء، لعلّ من يقرؤه من الرجال أو النساء يقتنع بمحتواه.

١ – المرأة والإرث في جاهلية الجزيرة العربية:

حتى نستطيع الدفاع بشكل جيد علينا أن نقارن حال المرأة في الجاهلية مع حالها ما بعد الإسلام،وعلينا أن نستعرض كيف غمطت الأمم الأخرى حقوق النساء وأخصّ الميراث في زمن عبادة الأوثان:

– لم تكن المرأة ترث بل إنّ الجاهليين اعتبروها ميراثًا كالمتاع، فالابن يرث امرأة أبيه وله أن يزوجها أو يسترقّها أو يعضلها حتى تموت أو ينكحها – زواج المقت – أو يطْلقها حين تدفع له صداقها، وفي كلّ الأحوال فأهلوها لا يتدخلون ولا يحقّ لهم مناصرتها فهي إرث الرجل من أبيه.

– والجاهليون لم يعتبروا صلة الزواج بالمرأة من أسباب توريثها فغضّوا الطرْفَ عن حقوقها، ومنعوها من تكوين ذمّة مالية خاصة بها. وما سبب حرمانها هي والولدان من الميراث إلا لأنهم – برأي الجاهليين – ليسوا من أهل القتال وحماية المال، بالإضافة إلى خشيتهم – إن هم ورّثوا النساء – أن تخرج ثروة العائلة إلى رجل غريب هو زوجها.

كل هذه الأسباب والأهواء والعادات التي ألفوا عليها آباءهم كانت السبب في حرمان المرأة من الميراث.

– وبعد أن أشرق نور الإسلام وسطع في جزيرة العرب حرّم كون المرأة ميراثًا، وجعل لها ذمّة مالية خاصة بها تبيع وتشتري وتصنع وتتاجر وتتصدق من نتاج عملها، فردّ إليها كرامتها المسلوبة، قال تعالى: **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** (النساء: ١٩).

٢ – النساء في الأمم الأخرى: كانت المرأة مسحوقة الهوية، مطموسة القضية، تورث وتباع وتشترى وتقتل وتضرب، لا قضاء يحميها ولا قرابة ينصرونها.

أ – حضارة الإغريق: حظيت المرأة بحقوقٍ أقلَّ من حقوق الّذكور، فالمرأة لا تستطيع التصويت ولا يحقّ لها امتلاك الأراضي ولا التوارث، وتعتبر المرأة مهانة بل هي رجس من عمل الشيطان، وكانت كسقْط المتاع تباع وتشترى في الأسواق، يقول سقراط: " إن وجود المرأة أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إنّ المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت "[1].

– ويقول أرسطو: "إنّ الطبيعة لم تزوّد المرأة بأي استعداد عقلي يُعتدّ به لذلك وجب أن يقتصر عملها في المنزل"

ثم يقول: "ثلاث ليس لهن حقّ التصرف في أنفسهنّ: العبد ليس له إرادة، والطفل له إرادة ناقصة، والمرأة لها إرادة وهي عاجزة".

ب – المرأة عند الرومان النصارى: كان شعر الرومان فيما يتعلق بالمرأة: " إنّ قيدها لا ينزع ونيرها لا يخلع".

– وكان للرومان شعار هو "ليس للمرأة روح"، فيستطيعون تعذيبها بسكب الزيت الحارّ على بدنها وربطها بالأعمدة, ويربطون البريئات بذيول الخيول ويسرعون بالخيول إلى أقصى سرعة حتى تموت المرأة.[2]

– واعتبر المجتمع النصراني المرأة مسؤولة عن انتشار الفواحش والمنكرات والانحلال الأخلاقي الذي وصلوا إليه، وهي أصل الخطيئة وهي من أخرجت آدم من الجنة.

---

[1] - الحجاب للمودودي 12.

[2] عودة الحجاب د. محمد المقدم 47/2

– وقد نشرت الكنيسة الرومانية بعد ذلك أفكاراً تحقِّر المرأة وتقلل من دورها في المجتمع منها أن المرأة مفسدة للمجتمع، وفيها مسخ الشيطان، وهلاكٌ للأرواح، وأنّ دورها مقتصرٌ على الإنجاب فقط.

لذلك أصدر بولس أوامر صارمة فحواها أن المرأة ليس مأذونًا لها التكلّم في الكنيسة.[1]

– وكانت المرأة من أملاك الرجل وجزءاً من اقطاعته، ومصيرها معلّق بيد مالكها.

– كما كان للرجل الحق في معاملة زوجته معاملة سيئة، وأن يعاقبها، ويضرَّ بها لا بل ويورّثها لغيره من الرجال أو يبيعها.

ولا يحق لها الطلاق وأقصى ما تحكم به الكنيسة التفريق بينهما جسديًا حتى يفرق الموت بينهما.

وقد وصمت الكنيسة العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ولو كانت عن عقد زواج بالنجسة [2]، ومن هنا انتشرت فكرة الرهبانية. بينما في الإسلام العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته صدقة:عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ في بضع أحدكم صدقة! قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ.[3]

ج – المرأة عند اليهود[4]: تعتبر بعض الطوائف اليهودية أن البنت بمرتبة الخدم ولأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة، أو أنْ يزوجها بمهر يعتبره من حقّه وبذا تخرج ملكية المرأة من أهلها إلى زوجها بموجب صك البيع أو الزواج.

فالزوج فهو سيدها المطلق، وعقد الزواج في اليهودية هو عقد سيادة لا عقد زواج.

والمرأة في اليهودية تورث كجزء من تركة الميْت، وللوارث أن يبيعها أو يعضلها. والمرأة في اليهودية – أثناء الحيض – ليست طاهرة وعلى الزوج عدم ملامستها أو الجلوس معها على مائدة واحدة ولا تناوله شيئًا ولا تأخذ منه شيئًا إلا تنجسّ منها، ولا تركب معه في عربة واحدة ولا تنام معه في الفراش.

٣ – ميراث المرأة في الإسلام:

---

[1] قصة الحضارة ول ديوارنت

[2] - مقام المرأة في الإسلام لمحمود بايللي ص /37/4

[3] - صحيح مسلم /1006/ - صحيح الجامع /2588/.

[4] - مقام المرأة في الإسلام لمحمود بايللي.

أ – التدرّج في تشريع الميراث: اقتضت حكمة الخالق أنْ يرسل أحكام الميراث تدريجيًا، وذلك لأن المسلمين كانوا قريبي عهد بالجاهلية، والعنت مازال متجذّرًا في نفوس الناس، وقد اعتادوا على ما ألفوا عليه آباءهم من أحكامٍ متأصّلة في نفوسهم، والذين رفضوا مشاركة النساء أموالهم، فالنسوة بنظرهم أهل السّفَهِ والضعفِ.

– ولّما هاجر النبي صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة المنوّرة, وظلل الله عليه أمانها وسكينتَها – وكانت بحقٍّ المدينة الفاضلة التي ينتظرها الناس منذ عهود الإغريق ويحلمون بها وينتظر الأدباء والشعراء والفلاسفة ابتعاثها –.

– في المدينة المنورة استتبّ الأمن للرسول الكريم، ثمّ بدأت التشريعات الجديدة تنزل تباعًا، ومن بين هذه التشريعات [أحكام الفرائض أي المواريث].

– وكانت في البداية وراثة بالأخوة بين المهاجرين والأنصار، وكذلك كان التوريث بسبب الهجرة فالمهاجر يرث المهاجر وبالموالاة والحلف والمعاقدة، كما شرع الله وجوب الوصية للوالدين والأقربين، قال تعالى: **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا** (النساء: ٣٣).

وما سبب هذه الوراثة إلا بقاء معظم أقرباء المهاجرين من المشركين في مكة، إلى أن توالدَ المسلمون، ولحق بهم آباؤهم وأبناؤهم مؤمنين مهاجرين فنزل ميراث القرابة، فالأقربون أولى بالمعروف.

ب – إقرار حقّ المرأة في الإرث:

عندما أضحى الميراث في المجتمع الإسلامي أمراً مألوفًا، والناس اعتادوا على توارث الأقرباء، وصار الميراث أحد الأنظمة الجديدة المتبعة في الدولة الإسلامية العتيدة، فصار يشترك فيه النساء والرجال، الضعفاء والأقوياء، الصغار والكبار، ثم نزلت الآية المعظّمة التي تبين نصيب النساء في الإرث، يقول الله تعالى: **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** (النساء: ٧)؛ ولعلّ العظمة في هذه الآية تكمن في إقرار حق النساء عندما كررعزّ وجلّ وللنساء نصيب،وبينت الأصالة في أحقية المرأة بإفراد النصيب لهن خلا نصيب الرجال، وفيه إشارة إلى الإثم في غمطها حقّها ولو كان قليلاً أو كثيراً.

– وللأسف الشديد مازالت نماذجُ كثيرةٌ من بيئات مختلفة تحرم المرأة ميراثها لنفس الأسباب الجاهلية التي مازالت متأصلة في عقول بعض البشر التي تسيّرها الأهواء والشهوات والمصالح.

– والوارثات من النساء ستّ: البنت وبنت الابن، والأم والجدّة أم الأم وأم الأب وإن علت، والأخت الشقيقة سواءً أكانت لأب أو أمٍّ، والزوجة.

١ – حقُّ الأمّ في الميراث: نرصد للأمّ ثلاث حالات تجمعها الآية الحادية عشرة من سورة النساء: **وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ.**

أ – في حال وجود أحفادٍ لها من ابنها أو ابنتها المتوفّاة: تحصُل الأم على سدس المال الذي خلفه ابنها المتوفّى أوابنتها،هذا الحقّ للمرأة الأولى التي تلتصق بالإنسان من يوم مولده، تحميه وتضحّي في سبيل سعادته بكل ما تستطيع ليضْحي ولدها ناشئًا وشابًّا،قويًا يعتمد على نفسه وقد قرر الله لها من سمائه السابعة هذا الحقّ قال تعالى: **وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ** (النساء: ١١).

	الجدول رقم 1 - 24 -	
4	أم	1 6
4	أب	1 6
16	أبناء	الباقي

	جدول2 - 24 -	
8	الأم	1 3
16	عصوبة	الباقي

و الجدول رقم ١ يوضح حقها: الرقم ٢٤ هو مقدار الميراث وهو رقم افتراضي.

ب – الحالة الثانية : في حال عدم وجود أحفادٍ لها يشاركونها في ميراث ولدها المتوفّى :هنا تزداد حصّة الأم بسبب عدم وجود أبناء لولدها أو ابنتها التي ورثت منها فتصبح ثلث التركة, ، قال تعالى : **فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ** (النساء: ١١) .

ويبدو من الحصّة أنها أكبر في حال فقدان الأم للكفيل المنفِق . والجدول ٢ يبين الحصة .

	جدول4 - 24 -	
1 8	زوجة	3
1 6	أم	4
1 2	بنت	12
الباقي	شقيقة	5

ج – الحالة الثالثة – حالة اشتراك الأم مع أخوة ابنها المتوفّى : تعود حصة الأم إلى السدس في هذه الحالة والجدول ٣ يبين الحالة، أما الجدول ٤ فيجمع الحالتين اللتين تنال فيهما الأم حصة السدس .

	جدول3 - 24 -	
1 4	زوجة	6
1 6	أم	4
الباقي	أشقّاء	14

٢ – حقّ الجدّة في الميراث : لا يوجد نصّ قرآني يقرر حقّ الجدّة في الميراث، لكننا نجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه ورّثها، وأطعمها السّدس، وكذلك الخليفَتان الراشدانِ أطعماها السّدس . لكن قبل أن نخوض بالحصة التي فرضت للجدة ينبغي أن نتعرف على زمن ميراث الجدة ومَنْ مِنَ الجدّات ترث ومن لا ترث منهن :

١ – متى ترث الجدّة؟ الجدة ترث إذا كانت بديلاً عن الأم أي لم يكن للورثة أمّ فهي تأخذ مكانها في الميراث وتكون جدّة صحيحة(أي التي ليس بينها وبين المتوفّى غير وارث) .

٢ – من يرث من الجدّات؟ أم الأم إنْ علت كأم أم الأم، وأم الأب مهما علت كأم أب وأم أم أب، وأم أبي الأب[1]. فهؤلاء كلّهن وارثات إنْ وجدنَ لأنهن يدلين إلى الميت وارث. أما التي لا ترث فهي الجدّة (أم أبي الأم) لأن الذي أدلت به إلى الميت هو أبو الأم وهولا يرث لأنه من ذوي الأرحام، فأمه لا ترث من باب أولى. ولا ترث الجدّات شيئًا في حال وجود الأم، لأن ميراث الجدات هو ميراث ابنتها فإن وجدت ابنتها فإنها تحجب أمها، والجدات تبع الأم فأمومتهن مجازاً.

هذا مذهب الجمهور ماعدا الحنابلة الذين ورّثوا الجدة مع ابنها أو ابنتها، ودليلهم على ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: قال أول جدة أطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلّم سدسًا مع ابنها، وابنها حيٌّ[2].

– والآن لماذا أطعمها ولم يقل ورّثها؟

معلوم لدينا أنّ العجائز تضعف شهواتهن للدنيا من زينة ولباس وغيرهما مما تنفقه النساء ولا يعود يهمّهن من ملذاتها إلا ما يقيم الجسد ويقويه وهو الطعام.ولأنه وكما سبق لا يوجد نصّ قرآني في حقّ الجدات في الإرث، واعتمدنا على ما نقله الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقد تكررت مسألة توريث الجدة في زمن أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، وذلك من حديث قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه أنه قال: جاءت الجدّة إلى أبي بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال: مالكِ في كتاب الله تعالى شيء، وما علمْتُ لكِ في سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّمَ شيئًا, فارجعي حتى أسألَ الناسَ. فسأل الناس،فقال المغيرةُ بنُ شعبةَ رضي الله عنه: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلّمَ أعطاها السدس، فقال أبو بكرٍ: هل معكَ غيرُكَ؟ فقام محمد بنُ سلمةَ فقال مثل ما قال المغيرةُ بنُ شعبةَ، فأنفذه لها أبو بكرٍ.ثم جاءت الجدّة الأخرى إلى عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه تسأل ميراثها، فقال: مالكِ في كتابِ اللهِ شيء، وما كان القضاءُ الذي قُضيَ إلا لغيرِكِ، وما أنا بزائدٍ في الفرائضِ, ولكن هو ذلكَ السّدس، فإنْ اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها.

[1] - الفرائض لمحمد حسن مصطفى البغا.
[2] - الترمذي - الفرائض رقم 213 - باب الجدّات(1: 99/57).

– فقد روى أبو داود في مراسيله[1]، والبيهقي في سننه: عن إبراهيم النخعي رحمه الله قال: أطعم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ثلاث جدّات السدس، قيل: مَن هنَّ؟ قال جدتان من قبل أبيك، وجدّة من قِبل أمك.

جدول 6 - 24 -		
1 6	جدتان أو ثلاث جدات	4
.	أم متوفاة	.
الباقي	أبناء أو أبناء الأبناء	20

	جدول 5 - 24 -	
1 6	جدة واحدة	4
.	أم ميتة	0
الباقي	أخوة	20

	جدول 7 - 24 -	
1 6	الأم	4
.	الجدة/محجوبة	.
الباقي	أبناء	20

٣ – حق الزوجة في ميراث زوجها: للزوجة حالتان: تشرحهما الآية الثانية عشرة من سورة النساء، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾.

	جدول 8 - 24 -	
8/1	زوجة أو زوجات	3
الباقي	أبناء	21

[1] - أبو داود في الفرائض باب الجدة /2894 - الترمذي:الفرائض باب ما جاء في ميراث الجدّة /2101/2102/ - ابن ماجه في الفرائض باب ميراث الجدة /2724/.

أ – حالة الزوجة مع وجود أبناء للزوج منها أو من غيرها :ولها ثمن المال مما ترك زوجها ١ / ٨، وتتقاسم الثُّمن مع الزوجات الأخريات (في حال كان الرجل معدِّدًا) . انظر الجدول ٨ .

ب – حالة الزوجة مع عدم وجود أبناء للزوج : وهذه الحالة تأخذ الزوجة ربع المال الذي خلّفه زوجها المتوفّى، وما تبقى من المال يعطى للعصوبة من أقرباء الزوج. انظر الجدول ٩ .

الجدول 9 - 24 -		
6/1	الأم	4
4/1	الزوجة	6
الباقي	عصوبة	14

– كيف حمى الإسلام ميراث الزوجة؟

– **طلاق الفارّ**: هو أن يلجأ الرجل تحت تأثيرٍ من أبنائه لطلاق زوجته الأخرى بائنًا وبغير رضاها حتى لا ترث، هذه الحادثة قد جرت زمن عثمان بن عفّان حين لجأ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لطلاق زوجته وهي ضرّة أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه في مرض موته حتى ترث أخت عثمان دونها[1] : حدثنا الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر قال : إن عبد الرحمن طلق امرأة له كلبية في مرضه الذي مات فيه، فكلّمه عثمان بن عفّان ليراجعها، فتلكأ عليه عبد الرحمن بن عوف، فقال عثمان : قد أعرف إنما طلّقها كراهية أن ترث مع أم كلثوم، والله لأقسمَنّ لها ميراثها، وإن كانت أم كلثوم أختي .

– فما أعظم هذا الدين وما أعظم رجالاته! أولئك الذين تصدّوا للظلم وأقاموا العدل في كل أرجاء الدولة الإسلامية .

٤ – حق البنت في ميراث أحد الوالدين : الحقُّ تشرحه الآية الكريمة الحادية عشرة من سورة النساء، قال تعالى : **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ .**

[1] - المجموع - شرح المهذّب 1 - 27 ج 18 - محلّى ابن حزم.

أ – الحالة الأولى البنت ترث مع أخوتها: إن كانوا رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظِّ الأنثيين: وهذه الآية أغاظت الكثيرين ودعوني أستطرد هنا في شأنها ودفاعًا عنها وأنا الأنثى التي ما وجدتْ في إقرار الله لحصة النساء ظلمًا ولا جوراً.

لماذا تأخذ الأنثى نصف حصة أخيها؟

١ – الرجل في الشريعة الإسلامية مكلّف بالإنفاق على من يعول، فما يرثه يحتاجه في المطعم والملبس والمأكل، ولا تكلّف المرأة بإعالة أحد بل لا تكلفها الشريعة بإعالة نفسها وإن كانت ذات مال، ولك أن تتخيل أنّ امرأة ورثت نصف حصة أخيها وهو يعولها من حصته.

٢ – المرأة قد تحول إرثها إلى مصاغ ذهبي أو حلي ويمكّنها الشرع إن شاءت أن تقيم فيه مشاريع تديرها بنفسها فتتجر بأموالها إن شاءت، وهذا من آثار تقسيم التركة الاقتصادي فللمرأة ذمة مالية منفصلة عمن سواها سواء أكان المعيل أبًا أم زوجًا أم أخًا أم ابنًا.

٣ – في الوقت الذي يعيب فيه غيرُ المسلمين على المسلمين إعطاء الأنثى نصف حصة الذكر نجدهم في مجتمعاتهم يحرمون المرأة من الميراث قليلاً كان أو كثيراً, ونجد بعض القوانين الوضعية تورّث الابن الأكبر بين أخوته فقط – وقد سمعت من بعض نساء الملل الأخرى كيف يحسدن المرأة المسلمة على مكانتها في المجتمع الإسلامي فيقلن عنها: (الأمير) لأنها نالت حقوقها فصارت مقابل مكانتهن التي وجدْنَ أنفسهن عليها في مجتمعاتهن كالخادمات، والجدول رقم ١٠ يوضّح الحالة الأولى لإرث المرأة مع أخوتها:

	الجدول 10 - 24 -	
3	8/1	الزوجة
14	ع	الأبناء
7	ع	البنات

ع= عصوبة

	جدول 13 - 24 -	
12	أخت واحدة	2/1
6	زوجة	4/1
6	عصوبة	ما بقي

ب – الحالة الثانية – البنات دون وجود أخ ذكر بينهن: والآية الكريمة السابقة أوضحت حصتها وهي أن تأخذ مع أختها أو أخواتها ثلثي المال المتروك وما تبقى لأصحاب الفروض والعصبات: قال تعالى: **فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ** (النساء: ١١)، وفوق اثنتين تعني اثنتين فأكثر، والجدول ١١ يوضح المسألة:

جدول 11 - 24 -		
3/2	بنتان أو بنات	16
ما بقي	العصبات	8

ج – الحالة الثالثة ترث النصف إن كانت واحدة (وحيدة): قال تعالى: **وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ** (النساء: ١١) تبيّن الآية أن المرأة الوحيدة ترث نصف تركة أبيها أو أمها، وهذا الجدول ١٢ يبين حالتها:

الجدول12 - 24 -		
2/1	البنت	12
8/1	الزوجة	3
6/1	الأم	4
الباقي	عصوبة	5

٥ – نصيب الأخت في الميراث: تتشابه حصص الأخت والأخوات بحصص البنات والآية الكريمة ١٧٦ من سورة النّساء تبين فروضهنَ، قال تعالى: **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (النساء: ١٧٦) فمن خلال الآية يتبين أن للأخوات ثلاث حالات وأخرى رابعة بالتعصيب:

جدول14 - 24 -		
3/2	أختان فأكثر	16
8/1	زوجة	3

4	أم	6/1
1	عصوبة	الباقي

أ – الحالة الأولى أخت وحيدة لها نصف التركة: (فلها نصف ما ترك)،وفي هذه الحال ترث الأخت أخاها إن كان كلالة لا فرع يرثه من ابن أو ابنِ ابنٍ، وللعصوبة ما بقي من الميراث، والجدول ١٣ يبين حالة الأخت:

ب – الحالة الثانية وجود أختين فأكثر: (فلهما الثلثان مما ترك) وهنا نكرر أن لا وجود للأبناء والبنات في هذه المسألة والباقي للعصوبة. والجدول ١٤ يوضح المسألة.

ج – حالة توارت الأخت مع أخوتها ذكوراً وإناثًا للذكر مثل حظ الأنثيين: أشقاء الكلالة يرثون من أمواله فيتقاسمون حصصهم للّذكر مثل حظ الأنثيين: والجدول ١٥ يوضح المسألة:

	جدول 15 - 24 -	
6	زوجة	4/1
6	أخت	ع
12	أخ	ع

د – الحالة الرابعة وهي أن ترث الأخت بالعصوبة: إذا انفردت وحدها أو شاركت أخواتها، وهذه الحال تسمى عصبة مع الغير، دلّ على ذلك حديث هزيل بن شرحبيل حيث جعل للأخت ما بقي بعد فرض البنت وبنت الابن. وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه يجعل الأخوات مع البنات عصبة[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت[2].

	الجدول 16 - 24 -	
12	البنت	2/1
4	ابنة الابن	6/1
6	عصبة الأخت	ما بقي

والجدول رقم ١٦ يبين الحصص:

[1] - أخرجه الدارمي.
[2] - أخرجه البخاري.

– نظام رائع يدعو للإعجاب والخضوع لمن وضعه سبحانه تعالى.

٦ – نصيب اليتيمة: حفظت الشريعة الإسلامية حقوق الضعفاء من النساء والولدان واليتامى، فمن حديث أبي شريح خويلد بن عمر الخزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني أحرّج حقَّ الضعيفينِ اليتيمِ والمرأةِ"[1].

وكذلك حكم الرسول الكريم في ابنتي سعد بن الربيع الذي قتل يوم أحد فقام عمهما واستولى على أموالهما وتركهما وأمهما، فأرسل رسول الله إلى عمهما إثر نزول الآية: **يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا** (النساء: ١٢٧) فقال: أعطِ ابنتي سعدٍ الثلثين وأعطِ أمهما الثمن وما بقي فهو لك[2].

– وقد رفض الإسلام ألا تأخذ اليتيمة حقها من الميراث ومن المهر المفروض لها من عند الله، لأن بعض الناس مالوا إلى الزواج من اليتيمات لأخذ أموالهن أولاً، ولعدم طلبهن المهور ثانيًا، فكانت الآية رادعًا لمن تسوّل له نفسه ظلم اليتيمة، واعتبر منعها من حقوقها جريمة شرعية يعاقب عليها.

٧ – متى ترث المرأة مثيل حصّة الذّكر؟

من إصدارات الافتاء المصرية رصدتُ لكم تسع حالات من بينها حالة واحدة تنال فيها الأنثى أكثر من حصة الذكر:

جدول17 - 24 -		
2/1	الزوج	12
6/1	الأم	4
6/1	الأخت لأم	4
6/1	الأخ الشقيق	4

١ – الأب والأم في حال وجود الفرع الوارث.

[1] - رواه النسائي بإسناد جيد، وحقّ الضعيفين ما يستحقانه بملك أو غيره ويشمل الحقوق المالية - أحرّج: ألحق الحرج أي الإثم بمن ضيّع حقهما - اليتيم من فقد أباه قبل سن البلوغ.

[2] - أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدار قطني والحاكم - ميراث البنات للترمذي من كتاب الفرائض.

٢ – الأخ والأخت لأم.

٣ – الأخوات مع الأخوة والأخوات لأم.

٤ – البنت مع عمها أو أقرب عصوبة للأب مع عدم وجود الحاجب.

٥ – حالة ترث فيها المرأة أكثر من الرجل هي الأب مع أم الأم وابن الابن.

٦ – زوج وأم وأختان لأم وأخ شقيق على قضاء عمر رضي الله عنه، فإن الأختين لأم والأخ الشقيق شركاء في الثلث.

٧ – انفراد المرأة بالتركة حين تكون الوارثة الوحيدة: فترث البنت نصف التركة فرضًا والنصف الآخر عصوبة.

٨ – الأخت لأم مع الأخ الشقيق، وهذا إذا تركت المرأة زوجًا وأمًا وأختًا لأم وأخًا شقيقًا، فيأخذ الزوج النصف، والأم السدس،والأخت لأم السدس، والباقي للأخ الشقيق تعصيبًا، وتكون حصته السدس، الجدول ١٧.

٩ – هي وراثة ذوي الأرحام في حال لم يكن للمتوفى أصحاب فروض ولا عصبات، فإن ذوي الأرحام هم الورثة وتقسم بينهم التركة بالتساوي للذكر كحظ الأنثى.

فما هو ردّ أهل الفرية والضلال والفتنة على هذا النظام الرائع الذي لا يوجد إلا في شرعة الإسلام؟

٨ – التوازن في الميراث والوصية والتقدير السليم للحصص والفرائض:

يميل بعض المورّثين من حرمان وارثيهم من التركة المفروضة لأسباب كثيرة، ولكن التشريع حتى في أشدّ دركات العقوق لم يحرم الوارث حقّه ولم يحجبه إلا إن كان قاتلاً لمورّثه.

– ولا يحق للمحتضر أن يوصي بأكثر من ثلث ماله لغير ورثته، أو لأحد ورثته، فقد أراد سعد بن أبي وقّاص في مرضه أن يتصدق بالثلثين فمنعه الرسول صلى الله عليه وسلم، فأراد النصف فمنعه، ثم قال: "الثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة "[1].

– ولا يخفى لما هذا التقسيم من سلٍّ للأغلال من النفوس وإحقاق للحقوق وتمكين للعدل في العطايا، وتوطيد لدعائم الأواصر الاجتماعية.

[1] - رواه البخاري.

– كما أن الله تعالى وجّه إلى الأوصياء على اليتامى أن يتقوا الله في أوصيائهم، ونبّههم إلى أنهم قد يموتون ويخلّفون من بعدهم ذرية ضعفاء، فهل يريدون لهم أن يأكل أوصياؤهم حقوقهم ويتركوهم فقراء محتاجين؟

قال تعالى: **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** (النساء: ٩–١٠).

٩ – أثر قسمة الميراث اجتماعيًا واقتصاديًا:

تقسيم الميراث أمر توقيفي من لدن حكيم خبير وهو يعلم من خلق ويعلم ما يصلح لمخلوقاته وأي خروجٍ عن إرادته يبثُّ الفرقة والخلاف والحسد والحقد والضغينة بين أفراد العائلة الواحدة، لذا فإن التقسيم والرضا به يدعم أواصر الروابط الأسرية في المجتمع.

– لا يرث من أصحاب الفروض إلا من كان في موقع من يحمي وينافح ويناصر المورِّث، وإنّ تخصيص هذا القدر من الحصص لكل فرد وارث لهو أمر حكيم، فإذا حضر تقسيم الميراث ذوو القربى وجبَ على الوارثين تخصيص حصة لهم وإن لم يكونوا وارثين من أهل الفرائض، قال تعالى: **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** (النساء: ٨) مما يعمل على اجتثاث الحسد والحقد من قلوب هؤلاء، وكذلك تخصيص الحصص لذوي القربى فالأقربون أولى بالمعروف.

كل هذا التقسيم يؤثّر تأثيراً إيجابياً على حركة المجتمع الاقتصادية مما يدفع إلى حركة نشطة تعمل على توزيع المال على أشخاص مختلفين ربما يحركون النشاط الاقتصادي ويستثمرون أموالهم في مشروعات ناجحة، فتداولُ المال بين عقول مختلفة يؤدي إلى أنشطة متنوعة، مما يرفد ريع المشاريع الصغيرة التي تنشّط الحركة التجارية والصناعية والزراعية.

.

De la microéconomie irrationnelle : Analyse de l'équilibre du consommateur dans les cas où le revenu disponible du consommateur dépasse la quantité de biens consommés

LAKHYAR ZOUHAIR
Professeur de l'enseignement supérieur à l'Université Hassan II

MOUTTAKI HLAL
Professeur de l'enseignement supérieur à l'Université Hassan II

Généralement on tente d'analyser le comportement du consommateur dans le cadre d'un équilibre rationnel, autrement dit, on considère toujours que le consommateur consomme juste son revenu et l'épuise en totalité pour l'acquisition de ses biens de consommation et de fait on base toute notre analyse sur l'équation suivante qui suppose la consommation de deux biens :

$$Maximiser\ U(x,y)\ sous\ la\ contrainte\ R = xP_1 + yP_2$$

Sur la base de cette équation, le consommateur est considéré comme étant un consommateur rationnel, c'est-à-dire qui utilise toutes ses ressources pour la consommation en vue de maximiser son utilité.

Mais au niveau de ce papier, on tentera de traiter un cas plus légions qui concerne des consommateurs qui sont très répandus à nos jours et qui sont obligés d'essayer de maximiser leurs utilités tout en consommant une quantité de biens sans pour autant dépasser leur revenus.

1 : Exposition du problème d'un consommateur n'épuisant pas la totalité de son revenu:

Sous la même hypothèse de consommation de deux biens uniquement produits x et y, on se place dans le cas d'un individu qui veut maximiser sa

fonction d'utilité avec une contrainte d'un revenu qui est supérieur à sa consommation.

Ainsi, mathématiquement le problème se pose de cette façon :

$$Maximiser\ U(x,y)\ sous\ la\ contrainte\ R > xP_1 + yP_2$$

$P_1\ et\ P_2$ sont les prix respectifs des biens $x\ et\ y$.

On se place dans le cas d'un individu qui veut maximiser sa fonction d'utilité avec une contrainte d'un revenu qui est supérieur à sa consommation, on suppose qu'il ne consomme que deux produits x et y.

2 : développement mathématique du problème de maximisation

Mathématiquement le problème se pose de cette façon :

$$Maximiser\ U(x,y)\ sous\ la\ contrainte\ R > xP_1 + yP_2$$

$P_1\ et\ P_2$ sont les prix respectifs des biens $x\ et\ y$.

Puisque $R - xP_1 - yP_2 > 0$, donc il existe un réel non nul z tel que

$z^2 = R - xP_1 - yP_2$

En utilisant la fonction de Lagrange on obtient :

$$L(x,y,\lambda,z) = U(x,y) + \lambda(z^2 - R + xP_1 + yP_2)$$

Les conditions du premier ordre ou nécessaires :

$$\begin{cases} \frac{\partial L}{\partial x} = 0\ (1) \\ \frac{\partial L}{\partial y} = 0\ (2) \\ \frac{\partial L}{\partial z} = 0\ \ (3) \\ \frac{\partial L}{\partial \lambda} = 0\ (4) \end{cases}$$

Ce qui donne :

$$\begin{cases} \frac{\partial U}{\partial x} + \lambda P_1 = 0\ (1) \\ \frac{\partial U}{\partial y} + \lambda P_2 = 0\ (2) \\ 2\lambda z = 0\ \ (3) \\ z^2 - R + xP_1 + yP_2 = 0\ (4) \end{cases}$$

D'après l'équation (3) on aura $\lambda = 0$ car z est non nul ; par conséquent on aura : $\frac{\partial U}{\partial x} = \frac{\partial U}{\partial y} =$

Les conditions du second ordre ou suffisantes :

$$\Delta HL(x,y,z,\lambda) = \begin{vmatrix} \frac{\partial^2 L}{\partial x^2} & \frac{\partial^2 L}{\partial x \partial y} & \frac{\partial^2 L}{\partial x \partial z} & \frac{\partial^2 L}{\partial x \partial \lambda} \\ \frac{\partial^2 L}{\partial y \partial x} & \frac{\partial^2 L}{\partial y^2} & \frac{\partial^2 L}{\partial y \partial z} & \frac{\partial^2 L}{\partial y \partial \lambda} \\ \frac{\partial^2 L}{\partial z \partial x} & \frac{\partial^2 L}{\partial z \partial y} & \frac{\partial^2 L}{\partial z^2} & \frac{\partial^2 L}{\partial z \partial \lambda} \\ \frac{\partial^2 L}{\partial \lambda \partial x} & \frac{\partial^2 L}{\partial \lambda \partial y} & \frac{\partial^2 L}{\partial \lambda \partial z} & \frac{\partial^2 L}{\partial \lambda^2} \end{vmatrix}$$

D'où :

$$\Delta HL(x,y,z,\lambda) = \begin{vmatrix} \frac{\partial^2 U}{\partial x^2} & \frac{\partial^2 U}{\partial x \partial y} & 0 & -P_1 \\ \frac{\partial^2 U}{\partial y \partial x} & \frac{\partial^2 U}{\partial y^2} & 0 & -P_2 \\ 0 & 0 & 0 & 2z \\ -P_1 & -P_2 & 2z & 0 \end{vmatrix} = -2z \begin{vmatrix} \frac{\partial^2 U}{\partial x^2} & \frac{\partial^2 U}{\partial x \partial y} & 0 \\ \frac{\partial^2 U}{\partial y \partial x} & \frac{\partial^2 U}{\partial y^2} & 0 \\ -P_1 & -P_2 & 2z \end{vmatrix} = -4z^2 \begin{vmatrix} \frac{\partial^2 U}{\partial x^2} & \frac{\partial^2 U}{\partial x \partial y} \\ \frac{\partial^2 U}{\partial y \partial x} & \frac{\partial^2 U}{\partial y^2} \end{vmatrix}$$

Or pour maximiser la fonction d'utilité sous la contrainte il faut que la matrice lagrangienne ait un déterminant strictement positif ; c'est-à-dire $\Delta HL(x,y,z,\lambda) > 0$ ce qui donne d'après le développement précédent que :

$$\begin{vmatrix} \frac{\partial^2 U}{\partial x^2} & \frac{\partial^2 U}{\partial x \partial y} \\ \frac{\partial^2 U}{\partial y \partial x} & \frac{\partial^2 U}{\partial y^2} \end{vmatrix} < 0$$

Ce qui est absurde car ceci correspond à un col et non pas à un maximum.

Conclusion :

D'après ce développement mathématique, on a pu relever un résultat qui ne correspond pas à la réalité car on a traité une contrainte qui stipule que le consommateur essaie d'épargner après la consommation des deux biens ($R > xP_1 + yP_2$).

Il est logique qu'un consommateur épargne une petite somme après consommation, mais ne pas pouvoir résoudre le problème de maximisation sous contrainte veut dire que la théorie de consommation considère l'épargne comme étant un bien parmi les autres biens et il est intégré dans l'équation mathématique $R = xP_1 + yP_2$).

De ce fait, nous proposons de ne plus considérer l'égalité entre le revenu et les biens consommés et pondérés par leurs prix, comme étant une hypothèse d'analyse mais il serait préférable de la considérer comme étant une réalité à ne pas surmonter.

أشكال الصيّغ التمويليّة في الاعتماد المستندي للبنوك الاسلاميّة

د. فؤاد بن حدو

دكتوراه في إدارة الأعمال والمالية - جامعة الشهيد أحمد زبانة - الجزائر

تعد الاعتمادات المستندية من أهم الخدمات التي تقدمها البنوك التجارية الربوية لزبائنها لما فيها من ميّزة تسهيل انتقال السلع والخدمات بين الدول وكذلك تنشيط التجارة الخارجية، ولعب دور الضامن للمستورد فاتح للاعتماد مقابل فائدة لأنه من قبيل القروض القصيرة الأجل.

البنوك الاسلامية تتعامل بهذه الخدمة المالية أيضًا كونها عصب تمويل للمستورد لكن بطرق وأساليب أخرى لتجنب الوقوع في الربا المحرمة شرعًا. و عليه فإن إشكالية هذا البحث هي على النحو التالي: " **ما هي أشكال الصيّغ التمويليّة في الاعتماد المستندي للبنوك الإسلامية** ؟". وللإجابة على هذه الاشكالية تم تقسيم هذا البحث الى:

- المبحث الأول: مفهوم الاعتماد المستندي.
- المبحث الثاني: ضماناته، أطرافه ومستنداته.
- المبحث الثالث: أساليب تنفيذ الاعتمادات المستندية.

المبحث الأول: مفهوم الاعتماد المستندي

يعرف الاعتماد المستندي (Credit Documents): بأنه: " التزام البنك بوضع مبلغ معين متفق عليه تحت تصرف المصدر باسم المستورد في ظل شروط محددة بدقة"[1]. وهي أداة تستخدم في المعاملات

[1]Edward G. Hinkelmen, **Importers Manual USA: "The Single Source Reference Encyclopedia for Importing to the United States"**, 4 th edition, USA: Word Trade Press, 2003, P. 148.

الخارجية الخاصة بالتجارة الخارجية[1]. ولا يجوز أن يكون موضوع الاعتماد المستندي مخالفًا لأحكام الشريعة الإسلامية[2]. باختصار هو تعهد بنكي بالوفاء مشروط بمطابقة المستندات للتعليمات[3].

حكمه الشرعي: ترجع مشروعيته من حيث الأصل إلى كونه يرجع الى العقود الجائزة شرعًا، مثل: الكفالة والوكالة والقرض[4]. فهو يشتمل على وكالة بتقديم الخدمات الإجرائية ومن أهمها: فحص المستندات، وعلى كفالة بضمان المؤسسة للمستورد، وكلاهما مشروع، فيكون الاعتماد المستندي مشروعًا بشروطه. ويجوز للبنك فتح الاعتمادات المستندية بمختلف أنواعها، وإصدارها،– بناء على أمر الزبون أو بالأصالة عن نفسها– وتعزيزها. ولا يجوز للبنك التعامل بالاعتمادات المستندية بالأصالة إذا كانت تلك الاعتمادات تخص بضاعة محرمة شرعًا، أو عقدًا باطلاً أو فاسدًا بموجب ما تضمنه من شروط، أو تتضمن تعاملاً بالفوائد الربوية أخذًا وعطاءً، صراحة كما في حالة القرض الذي ينشأ عند الدفع عن المستفيد في مثل: الاعتماد غير المغطى كليًا أو جزئيًا أو ضمنًا كما في حالة الخصم، والتداول للكمبيالات مؤجلة الدفع، والتأخر في الدفع[5].

أهميته: تكمن أهمية الاعتماد المستندي في ما يلي[6]:

- **بالنسبة للمصدر**: ضمان بأنه سيقبض قيمة البضائع التي تعاقد على تصديرها وذلك فور تقديم وثائق شحن البضاعة إلى البنك الذي يكون قد أشعره بورود الاعتماد.
- **بالنسبة للمستورد**: بأنه يضمن أن البنك الفاتح للاعتماد لن يدفع قيمة البضاعة المتعاقد على استيرادها إلا بعد تقديم وثائق شحن البضاعة إلى البنك الذي يكون قد أشعره بورود الاعتماد.

خصائصه: يتميز الاعتماد المستندي بعدة خصائص نذكر منها[7]:

---

[1] فليح حسن خلف، **"البنوك الإسلامية"**، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م، ص108-109.

[2] محمود حسين الوادي وحسين سمحان، **"المصارف الإسلامية- الأسس النظرية والتطبيقات العملية"**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 1428هـ/2008م، ص 290.

[3] هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الاسلامية، **" المعايير الشرعية 1-48"**، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات المستندية، المنامة، البحرين، 1435هـ/2014م، ص 236.

[4] نفس المرجع، ص 246.

[5] **" المعايير الشرعية 1-48"**، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات، مرجع سابق، ص 238-239. بتصرف

[6] سامر مظهر قنطقجي، **" صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية"**، دار أبي الفداء العالمية للنشر، حماة، سوريا، الطبعة الثانية،2015م، ص171.

[7] **" المعايير الشرعية 1-48"**، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات، مرجع سابق، ص 238. بتصرف

- يجري التعامل بالاعتماد المستندي بناء على المستندات وحدها وينفذ مقتضاه دون نظر إلى البضاعة، وجوهره أن يلتزم البنك بتنفيذه متى قدم إليه المستفيد المستندات التي نص عليها في الاعتماد من خلال مدة صلاحيته وجاءت مطابقة للتعليمات؛
- لا يعد فتح الاعتماد من جانب المستورد وفاء نهائيًا منه بالثمن، وتبقى ذمته مشغولة به حتى يدفع البنك قيمة المستندات، لكن المصدر لا يطالبه مادام الاعتماد قائمًا وصالحًا. فإذا انقضت مدة الاعتماد قبل تقديم المستندات، فإن للبائع مطالبة المشتري بقيمة البضاعة مباشرة.

المبحث الثاني: ضماناته، أطرافه ومستنداته

ضماناته: يجوز أن تكون ضمانات لغطاء الاعتماد المستندي نقوداً أو حجزاً على الحسابات المشروعة أو لأوراق مالية مشروعة أو صكوك ملكية لعقارات وغيرها. ولا يجوز للبنك الاسلامي أن يقبل السندات الربوية، أو أسهم الشركات ذات الأنشطة المحرمة، أو الفوائد الربوية كضمانات[1].

أطرافه: أطراف الاعتماد المستندي وهي كالآتي[2]:

١. **طالب فتح الاعتماد**: وهو المستورد الذي يطلب فتح الاعتماد المستندي بشروط محددة.

٢. **المستفيد**: وهو المصدر الذي سيبيع البضاعة للمستورد حسب الشروط الواردة في الاعتماد.

٣. **البنك فاتح الاعتماد**: وهو البنك الذي يصدر كتاب الاعتماد المستندي حسب شروط طالب فتح الاعتماد.

٤. **البنك المبلَغ للاعتماد**: وهو البنك المراسل الذي يقوم بتبليغ الاعتماد للمستفيد.

٥. **البنك المغطَي**: وهو البنك الذي يدفع قيمة الاعتماد.

مستنداته: لفتح اعتماد مستندي لابد من توفر المستندات والوثائق التالية[3]:

١. **الفاتورة**: وتتضمن الفاتورة كل المعلومات الخاصة بالبضاعة مثل: الكمية، التوعية، الأسعار، . . .

---

[1] نفس المرجع، ص 240. بتصرف

[2] محمود حسين الوادي وحسين سمحان، "**المصارف الإسلامية- الأسس النظرية والتطبيقات العملية**"، مرجع سابق، ص 287.

[3] الطاهر لطرش، "**تقنيات البنوك**"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، الطبعة الثانية، 2003م، ص117-118.

٢. **بوليصة الشحن والنقل (Bill Of Lading)**: وهي عبارة عن مستند يعترف فيه قائد الباخرة بأنه شحن البضاعة من أجل نقلها وتسليمها إلى صاحبها. وفي حالة ما إذا كانت وسيلة النقل غير الباخرة، فانه يتطلب إصدار وثيقة حسب وسيلة النقل المستعملة.

٣. **بوليصة التأمين**: وهي تلك المستندات التي تؤمن على البضاعة المرسلة ضد كل الأخطار المحتملة التي يمكن أن تتعرض لها أثناء النقل.

٤. **الشهادات الجمركية**: وهي مختلف المستندات التي تثبت خضوع البضاعة لكل الإجراءات الجمركية.

٥. **شهادات المنشأ**: وهي الشهادات التي تثبت مكان صنع البضاعة وموطنها الأصلي.

٦. **شهادة التفتيش والرقابة والفحص**: وهي تلك الوثائق التي تثبت خضوع البضاعة إلى تفتيش أجهزة الرقابة من أجل التأكد من سلامة المعلومات المبنية في الفاتورة(الوزن، الموصفات،...).

٧. **الشهادات الطبيّة**: وهي كل الشهادات الصحية المحررة من أجل التأكد من سلامة البضاعة من النواحي الصحية والكيميائية.

أنواع الاعتمادات المستندية: تتنوع الاعتمادات المستندية بناء على[1]:

١. **التقسيم الأساسي**: من حيث قوة التعهد، وهو نوعان:

- **الاعتماد القابل للنقض**: هو الذي يمكن تعديله أو الغاؤه دون الرجوع للمستفيد.
- **الاعتماد غير القابل للنقض**: وهو الذي لا يمكن تعديله أو الغاؤه دون موافقة أطرافه.

٢. **التقسيمات الأخرى**:

- **الاعتماد القابل للتحويل**: ويتضمن حقا للمستفيد بأن يطلب من البنك المفوض بتنفيذ الاعتماد أن يجعل الاعتماد متاحًا كليًا أو جزئيًا لمستفيد آخر أو أكثر.
- **الاعتماد الظهير**: ويعني أن الاعتماد صادر بضمان اعتماد آخر.

[1] **" المعايير الشرعية 1-48"**، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات المستندية، مرجع سابق، ص 237.

- **الاعتماد الدائري أو المتجدد**: ويعني أن يتمكن المستفيد من تكرار تقديم مستندات لعملية جديدة في حدود قيمة الاعتماد، وخلال مدة صلاحيته، بعدد دورات الاعتماد.
- **الاعتماد ذو الشرط الأحمر، أو اعتماد الدفعة المقدمة**: وفيه يسمح للبنك بدفع نسبة معينة من قيمة الاعتماد قبل تقديم المستندات، مقابل تعهد المستفيد بردها إذا لم تشحن البضاعة أو إذا لم يستعمل الاعتماد خلال فترة صلاحيته. وقد يتم دفعها مقابل خطاب الضمان للمستفيد.
- **اعتماد الجماعي (اعتماد مشاركة)**: ويعبر عن حالة المشاركة في الإصدار بين أكثر من بنك لضخامة مبلغ الاعتماد، ويقدم كل بنك خطاب ضمان بقيمة مشاركته للبنك القائد.
- **الاعتماد المعد للاستخدام (اعتماد الضمان)**: وهو أشبه بخطاب الضمان المشروط دفع قيمته بإخلال المستفيد (وهو هنا المقاول) بالتزامه.

المبحث الثالث: أساليب تنفيذ الاعتمادات المستندية

أولاً- الأسلوب الأول (التغطية الكاملة):

١. **الاعتماد المستندي بالوكالة**: الوكالة: لغةً: وكلت الأمر إليه وكلاً من باب وعد، وكولاً فوضته إليه واكتفيت به[1]، لقوله سبحانه وتعالى: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ[2]، ويكون بمعنى فاعل إذا كان بمعنى حافظ لقوله سبحانه وتعالى: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[3]. أما اصطلاحًا: التوكيل هو: "تفويض أحد أمره لآخر وإقامته مقامه، ويقال لذلك الشخص موكل ولمن أقامه وكيل والأمر موكل به"[4]. بمعنى إنابة الإنسان غيره فيما يقبل النيابة. والأصل في الوكالة أنها عقد لازم، فيصح الرجوع عنها من الموكل أو الوكيل وقد تلزم أحيانًا[5].

٢. **صيغته**: إذا كان الاعتماد ممولاً ذاتيًا من قبل الزبون أي مغطى بالكامل كان دور البنك الإسلامي في هذه الحالة هو الوكيل بأجر، أي لا يتقاضى شيئًا سوى عمولة فتح الاعتماد والمصاريف الفعلية

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري،" **المصباح المنير في غريب شرح الكبير**"، كتاب الواو، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى،2013، ص471.

[2] سورة الطلاق، الآية 03.

[3] سورة آل عمران، الآية 173.

[4] محمّد عميم الإحسان المجدّدي البركتي،" **التعريفات الفقهية**"، حرف الواو، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص 239.

[5] "**المعايير الشرعية 1-48**"، المعيار الشرعي رقم (23) الوكالة وتصرف الفضولي، مرجع سابق، ص 390.

الأخرى كتسهيل عملية الدفع للمستفيد، وتدقيق المستندات والتأكد من صحتها دون أن يكون له أي علاقة بالبضاعة. ولا يتقاضى كذلك أية عائد عن المبلغ الذي يدفعه كتسبيق أو كتأمين نقدي إلى البنك المراسل قبل استلامه المبلغ من الزبون ذلك خلافًا للبنك التجاري،كما لا يتقاضى فوائد عن الزيادة الطارئة عن المبلغ، وفي انتظار تسديد تلك الزيادة من الزبون يعتبرها من قبيل القرض الحسن له. كل ما تم ذكره يخول للبنك الحق في أخذ أجر لتغطية المصاريف الفعلية التي تحمّلها مضافًا لها عمولة تتناسب مع أتعابه.

٣. **مراحله**: من الطلب إلى التنفيذ يمر الاعتماد المستندي بالوكالة بالمراحل التالية[1]:

- **مرحلة العقد الموثق بالاعتماد**: وهي سابقة للاعتماد، والغالب أن يكون ذلك العقد عقد بيع يشترط فيه المصدر على المستورد دفع الثمن عن طريق اعتماد مستندي، وقد يكون ذلك العقد عقد إجارة أو وكالة بأجرة، أو غيرها من العقود.
- **مرحلة طلب فتح الاعتماد**: وفيها يطلب المستورد من البنك فتح الاعتماد لتبليغيه للمصدر.
- **مرحلة اصدار الاعتماد وتبليغه**: وفيها يصدر البنك خطاب الاعتماد المستندي ويرسله الى المصدر مباشرة، أو عن طريق البنك الوسيط
- **مرحلة تنفيذ الاعتماد**: وفيه يقدم المستورد المستندات المشروطة في خطاب الاعتماد الى البنك ليفحصها طبقًا لشروط الاعتماد، ويقابلها اذا كانت مطابقة، وينفذ الاعتماد، ومن ثم يسلم المستندات للمستورد إن لم يكن هو المؤسسة بعد تسلم قيمتها منه كاملة بعضها أو التعهد بذلك في تاريخ الاستحقاق، كي تسلم المشتري البضاعة الممثلة بتلك المستندات، أما إذا كانت مخالفة للتعليمات فإنه يحق له رفضها أو قبولها أو طلب تعديلها.
- **التغطية بين المراسلين**: إذا تدخل في تنفيذ الاعتماد أكثر من بنك تتم تسوية الحسابات فيما بينها وفقًا لقواعد التغطية المتفق عليها بين البنوك.

[1] **" المعايير الشرعية 1-48"**، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات المستندية، مرجع سابق، ص 236.

الشكل البياني رقم (١٠١) : الاعتماد المستندي بالوكالة

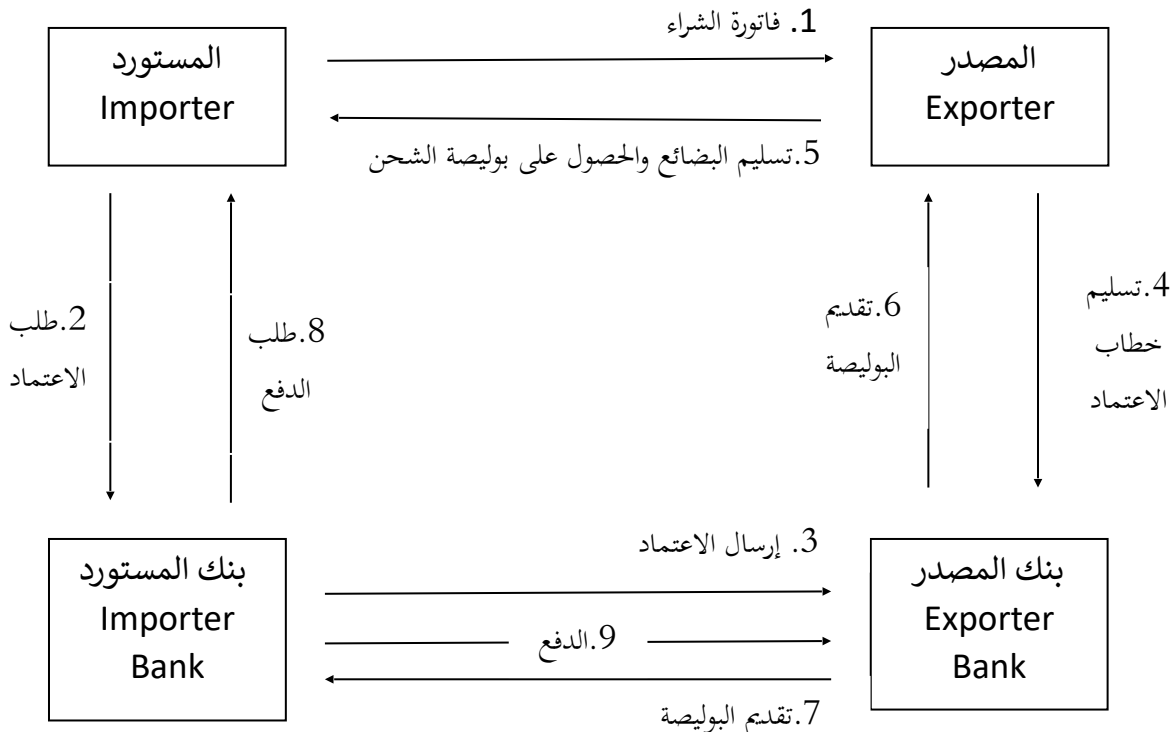

المصدر: سامر مظهر قنطقجي، " صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية" ، مرجع سابق، ص ١٧٤ .

ثانيًا- الأسلوب الثاني (التغطية الجزئية) : هو تنفيذ الاعتماد المستندي كائتمان بنكي حيث يقوم المتعامل بسداد جزء فقط من قيمة الاعتماد ويقوم البنك باستكمال سداد قيمة الاعتماد كعملية ائتمانية. وتنفذ هذه العملية في البنوك الإسلامية عن طريق إحدى قنوات الاستثمار (مشاركة، أو مضاربة، أو مرابحة). وتندرج تحت قواعد عقود البيوع والمشاركات[1].

أولا – الاعتماد المستندي بالمشاركة:

المشاركة لغةً: من شركته في الأمر إذا صرت له شريكًا، وشركة بمعنى قد اشتركًا وتشاركًا وشارك أحدهما الآخر. وكان لكل منهما نصيب[2].ومنه قول الله تعالى: وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي[3]. أما اصطلاحًا: عرفت

[1] سامر مظهر قنطقجي، " **صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية**"، مرجع سابق، ص175.
[2] ابو العباس احمد بن محمد بن علي الفيومي المقري،" **المصباح المنير في غريب شرح الكبير**"، كتاب الشين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى،2013، ص 194. إبراهيم مصطفى وآخرون، "**المعجم الوسيط**"، باب الشين، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة، للمعجمات وإحياء التراث، د.م، د.ت، ص 567، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،" **القاموس المحيط**"، فصل الشين، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، 143هـ/ 2012م، ص 944.
[3] سورة طه، الآية 32.

المشاركة على أنها: " اتفاق بين اثنين أو أكثر على خلط ماليهما أو عمليهما أو التزاميهما في الذمة، بقصد الاسترباح"[1].

صيغته: وفي هذا النوع من الاعتمادات يقوم البنك بتغطية باقي قيمة الاعتماد بصفته شريكًا لا كفيلاً أو ضامنًا، وبالتالي فإنه يكون شريكًا في الربح الناتج عن بيع البضاعة، فلا تنحصر مسؤولية البنك هنا في المستندات فقط بل يكون مسؤولاً عن البضاعة مع شريكه[2]. ويجب مراعاة ما يلي[3]:

- في حالة مشاركة البنك للزبون في شراء البضاعة قبل فتح الاعتماد وقبل إبرام الزبون العقد مع المصدر يجوز فتح الاعتماد باسم أي من طرفي المشاركة، ويجوز للبنك بعد تسلم البضاعة أن تبيع نصيبها لطرف ثالث أو لشريكه مرابحة عاجلاً أو آجلاً بشرط ألا يكون البيع للشريك بوعد ملزم ولا مشروطًا في عقد المشاركة؛
- يجوز للبنك أن يشارك الزبون فيما اشتراه لنفسه، شريطة ألا يبيع نصيبه إليه بالآجل.

ثانيا – الاعتماد المستندي بالمضاربة:

المضاربة لغةً: كلمة المضاربة في اللغة مشتقة من الضرب في الأرض، هو السير فيها لابتغاء الرزق[4]. وترجع هذه التسمية كذلك إلى: "اتجار الإنسان بمال غيره"[5]، وتسمى المضاربة أيضا بالقراض أو المقارضة. أما اصطلاحا: تعرف المضاربة على أنها: " اتفاق يتم بموجب اشتراك طرفين يسهم أحدهما بالمال ويسهم الأخر بالعمل وتكون أرباح ممارسة عمل أو نشاط المضاربة بينهما وحسب اتفاقهما"[6].

صيغته: لا يحتاج الزبون بهذا الأسلوب إلى تقديم أي غطاء نقدي للاعتماد المستندي المطلوب فتحه لاستيراد السلع كما في حالة اعتماد المرابحة بل يقتصر على عملية المضاربة التي تكون على النحو التالي:

- يطلب الزبون التمويل من البنك بأسلوب المضاربة قبل أن يبرم عقد البيع الأصلي من البائع المصدر؛

---

[1] " **المعايير الشرعية 1-48**"، معيار الشرعي رقم (12) الشركة (المشاركة) والشركات الحديثة، مرجع سابق، ص 188.
[2] محمود حسين الوادي وحسين سمحان، "**المصارف الإسلامية-الأسس النظرية والتطبيقات العملية**"، مرجع سابق، ص 290.
[3] " **المعايير الشرعية 1-48**"، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات المستندية، مرجع سابق، ص 241.
[4] نزيه حماد، "**معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء**"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 1414هـ/1993م، ص26، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، "**مختار الصحاح**"، باب الضاد، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م، ص209.
[5] علي عبد الرسول،" **المبادئ الاقتصادية في الإسلام**"، دار الفكر العربي، دم، الطبعة الثانية، 1980م.، ص57.
[6] فليح حسن خلف، "**البنوك الإسلامية**"، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م، ص225.

- يكون التعاقد لشراء السلعة من البائع مع الزبون نفسه بصفته المضارب الذي يتمتع بكامل الصلاحيات في إدارة أموال المضاربة. ويتم فتح الاعتماد في هذه الحالة باسم الزبون خلافًا لاعتماد المرابحة الذي يشترط فيه فتح الاعتماد باسم البنك؛
- يقدم البنك كامل رأس المال اللازم لشراء السلع موضوع المضاربة؛
- يتولى الزبون تسويقها؛
- يوزع الربح الناتج عن هذه الصفقة الممولة مضاربة بحسب ما هو متفق عليه بنسب مئوية شائعة بينهما، أما الخسارة فيتحملها البنك بالكامل باعتباره رب المال الممول[1].

الجدول رقم (٢.٢): خطوات سير عملية تنفيذ الاعتماد المستندي بالمضاربة

رقم الخطوة	المهمة
(01)	يبدى الزبون رغبته في تنفيذ عملية مضاربة مع البنك بحيث يقدم البنك رأس المال اللازم لتنفيذ شراء سلع معينة ويقوم الزبون بصفته مضارب بتسويقها وتحقيق الربح منها. وبعد موافقة البنك وتحديد شروط التعامل يبرم الطرفان عقد المضاربة ويفتح البنك حسابًا خاصًا لعملية المضاربة تحت تصرف الزبون المضارب.
(02)	يقوم المضارب بإتمام الإجراءات اللازمة لشراء السلعة التي سيتم المتاجرة فيها، ويبرم عقد البيع مع البائع الأصلي في الخارج ويتفق معه على شروط الاعتماد المستندي.
(03)	يطلب الزبون المضارب من البنك فتح اعتماد مستندي لصالح البائع الأصلي طبقًا للشروط المتفق عليها.
(04)	يصدر البنك اعتماد مستندي لصالح البائع ويبلغه به مباشرة أو عن طريق بنك مراسل حسب ما يتم الاتفاق عليه.
(05)،(06)	يسلم البائع السلعة إلى الشاحن، الذي يسلمه وثائق الشحن.
(07)،(08)	يسلم البائع المستندات ووثائق الشحن إلى البنك الذي يدفع له ثمن سلعته بعد التحقق من تطابق المستندات مع شروط الاعتماد.
(09)	يظهر البنك للزبون المضارب مستندات الشحن لتمكينه من تسلم السلعة.
(10)،(11)	يسلم المضارب المستندات إلى وكيل الشاحن في ميناء الوصول الذي يسلمه السلعة.
(12)	يقوم المضارب بتسويق السلعة، ويصفي عملية المضاربة في نهاية المدة المحددة، ويتم توزيع ما تحقق من أرباح بين الطرفين حسب النسب المتفق عليها.

المصدر: سامر مظهر قنطقجي، " **صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية**"، مرجع سابق، ص ١٧٨ .

[1] سامر مظهر قنطقجي، " **صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية**"، مرجع سابق، ص177.

ثالثا – الاعتماد المستندي بالمرابحة للآمر بالشراء: المرابحة للآمر بالشراء: لغةً: المرابحة في اللغة مصدر من الربح، وهو النماء والزيادة خاصة في المبايعة. وبعته المتاع واشتريته منه مرابحة إذا سميت لكل قدر من الثمن ربحًا[1]. أما اصطلاحًا: المرابحة هي: "البيع بمثل الثمن الأول مع الزيادة"[2].

والمرابحة للآمر بالشراء: هي أحد بيوع الأمانة، ويكمن في تقديم طلب من طرف شخص إلى شخص آخر بأن يشتري له سلعة معينة ويعده بأن يشتريها منه فيما بعد بربح معين يكون من نصيبه[3]،حيث يدعى الطرف الأول الآمر بالشراء والثاني المأمور بالشراء.

صيغته: فتح اعتماد مستندي على أن يقوم البنك الإسلامي بتغطية كامل قيمة الاعتماد، وهنا العلاقة بين البنك الإسلامي والزبون تحكمها المرابحة للآمر بالشراء، حيث يؤدي البنك الإسلامي هذه الخدمة لزبائنه الذين لا يتوافر لديهم تمويل، فيقوم هو بشرائها لحسابه بمواصفات يحددها الزبون، ثم وبعد تملكها يقوم بعرضها على الزبون بسعر يتضمن تكلفة السلعة مضافًا لها نسبة معينة تمثل هامش ربح له، ويشترط في هذه الحالة تحديد الثمن والأجل وكيفية دفع قيمة هذه السلعة[4]. وقبل هذا كله يجب مراعاة أن لا يسبق فتح الاعتماد إبرام عقد البيع بين الآمر والمستفيد (البائع) سواء قبض الآمر البضاعة محل العقد أم لم يقبضها[5].

الجدول رقم (٢.١): خطوات سير عملية تنفيذ الاعتماد المستندي بالمرابحة

رقم الخطوة	المهمة
(01)	يبدي الزبون في استيراد سلعة من الخارج محددًا ومضيفًا أوصافها ومبينًا ما لديه من عروض حولها وتقديم بوعد لشرائها من البنك بالمرابحة بعد أن يتملكها البنك.
(02)	يدرس البنك طلب الزبون من الناحية الائتمانية وبعد الموافق وتحديد شروط التعامل يقوم بشراء سلعة من البائع ويتفق معه على شروط الاعتماد.
(03)	يصدر البنك مستندي اعتماد لصالح البائع ويبلغه به مباشرة أو عن طريق بنك مراسل حسب ما يتم الاتفاق عليه.

[1] حسين بن راغب الأصفهاني،" **المفردات في غريب القرآن**"، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1961م، ص185، أبو العباس احمد بن محمد بن علي الفيومي المقري،" **المصباح المنير في غريب شرح الكبير**"، كتاب الراء، ص 136.

[4] محمود حسين الوادي، حسين سمحان، "**المصارف الإسلامية-الأسس النظرية والتطبيقات العملية**"، مرجع سابق، ص 159.

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[4] عبد الحميد عبد الفتاح المغربي،" **الإدارة الاستراتيجية في البنوك الإسلامية**"، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2004م، ص199 .

[5] "**المعايير الشرعية 1-48**"، المعيار الشرعي رقم (14) الاعتمادات المستندية، مرجع سابق، ص 241.

(04)،(05)	ويسلم البائع إلى ربان السفينة الذي يسلمه وثائق الشحن.
(06)،(07)	يسلم البائع المستندات ووثائق الشحن للبنك الذي يدفع له ثمن سلعته بعد التحقق تطابق المستندات مع شروط الاعتماد.
(08)،(09)	يبرم البنك بيع المرابحة مع الزبون الواعد بالشراء طبقا للمتفق عليه في وثيقة الوعد ويظهر للزبون المشتري مستندات الشحن.
(10)،(11)	يسلم المشتري المستندات إلى وكالة شركة الملاحة في ميناء الوصول الذي يسلمه السلعة.
(12)	يقوم المشتري بتسديد ثمن السلعة التي اشتراها بالمرابحة في الآجال المتفق عليها.

المصدر: سامر مظهر قنطقجي، " **صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية**" ، مرجع سابق، ص ١٧٥ .

ختاما لهذا البحث استطعنا أن نتوصل الى أن الاعتماد المستندي في البنوك الاسلامية يختلف عن البنوك التجارية من حيث اجتنابه للربا والسلع المحرمة والضمانات الممنوعة شرعًا، إضافة الى ذلك ان هذه الخدمة في البنوك الاسلامية تأخذ عدة أشكال كالوكالة والمشاركة والمضاربة والمرابحة للآمر بالشراء .

PROS & CONS OF CORRESPONDENT BANKING

Dr. AbdelGadir Warsama
LEGAL COUNSEL

Banking transactions require connection between different banks, due to the nature of this business. When a bank needs to provide or use banking services in another country, they may engage a correspondent bank in that jurisdiction to work on their behalf. As most jurisdictions require overseas banks to open a branch if they want to operate within its borders. Doing this can be costly, especially if the bank does little business in that country.

Correspondent banks are authorized by their regulator (central banks) to carry out the services and charge fees. There are advantageous to engage a local bank, to do your banking, because they have better access to capital markets and this enables the sourcing of loans and other financial instruments. They also, have better understanding of local laws and relationships as required.

Services carried by correspondent banks are cross-border business transactions that require foreign exchange, to enable customers to purchase stock or equipment from an overseas supplier. Such banks can also facilitate wire transfers of cash for banks and their customers and handle straightforward currency exchanges. They can even take and hold deposits for overseas customers of a bank with which they have corresponding arrangements. This activity, is an essential component of the global payment system, because it helps in keeping the wheels of cross-border business in motion. This is highly required for banking business transactions.

Normally, correspondent banks hold “nostro” accounts into which they will accept foreign currency from a respondent lender, and a “vostro” account in which they will hold funds for their foreign counterpart. Transfers and payments are usually conducted using the SWIFT network. Correspondent

banks can also provide services as an agent for a respondent bank's customer that has an office or residence in their country.

Irrespective of the importance of correspondent banking, however there is dark side, as they can give rise to various risks. They may have no pre-existing relationships with parties with which the respondent transacts, making them vulnerable to corruption and money laundering. Without visibility into the governance of a respondent bank's clients for whom it does business, correspondent banks are prone to abuse. The repercussions can be severe and include large regulatory or criminal, sanctions, reputational and financial damage. There are many big litigation cases before Courts.

You must undertake a due diligence assessment prior to entering into a correspondent banking relationship and conduct ongoing due diligence assessments throughout the period of the relationship.

The correspondent bank often has no direct relationship with the underlying parties to a transaction and is therefore not able to verify their identities. When these services are offered to a respondent that is itself a downstream correspondent clearer, you should use a risk-based approach, take reasonable steps to understand the types and risks of financial institutions to whom the respondent offers such services, take special care to ensure there are no shell bank customers, and consider the degree to which the respondent examines the legal controls of those transactions. By all means, more care is required.

قياس كفاءة تشغيل رأس المال العامل

أوهاج بادنين عمر

ماجستير محاسبة وتمويل

رأس المال العامل هو مقياس النقد والأصول السائلة المتاحة لـــــــــــــــــتمويل العمليات اليومية[1]؛ وامتلاك هذه المعلومة يساعد في إدارة العمل واتخاذ قرارات استثمارية أفضل، وبحساب رأس المال العامل يتبين ما إذا كان العمل قادرًا على تلبية المتطلبات الحالية والمدة الزمنية التي يمكنه تحقيق ذلك خلالها.

تعد الشركة التي رأسمالها العامل متدنٍ ظروفها صعبة، ويرى الباحث أن تحديد رأس المال العامل يساعد في تقييم ما إن كانت الشركة تستغل مواردها بشكل فعّال، وكذلك قياس كفاءة رأس المال العامل لمؤسسة تمويل أصغر.

يحتسب رأس المال العامل بشكل مبسط كالآتي:

رأس المال العامل = الأصول المتداولة - الالتزامات الجارية

الأصول المتداولة هي الأصول التي ستحولها الشركة إلى نقد خلال العام المالي وهي تتضمن النقدية والحسابات قصيرة المدى الأخرى؛ كحسابات الدين والمصروفات مسبقة الدفع والمخزون.

أما **الالتزامات الجارية** فهي الالتزامات التي يجب تسديدها خلال العام المالي وهي تتضمن حسابات المدفوعات والالتزامات المستحقّة وسندات الدفع قصيرة المدى.

يُفترض أن تتضمن الميزانية إجمالي الالتزامات الجارية، وإلا تُستخدم بيانات الميزانية لحسابه عن طريق جمع الالتزامات واحدة بواحدة. وسيتضمن ذلك على سبيل المثال الديون مستحقّة الدفع والضرائب المستحقّة والديون قصيرة المدى. وعلى سبيل المثال، تخاطر الشركة التي ينخفض رأسمالها العامل بدرجة كبيرة بعدم التمكن من تلبية التزاماتها الحالية وقد يكون الاحتفاظ بالكثير من رأس المال العامل مشكلة أيضًا.

ويرى الباحث ضرورة وجود آلية توضح ما اذا كان هنالك مستوى غير مرضي لأداء رأس المال العامل من خلال نموذج محدد لتلافي هذا الخطر من خلال النموذج التالي الذي يبين مستوى أداء رأس المال العامل:

[1] Wiki How

أولا : إيجاد مؤشر التدوير النموذجي السنوي ويساوي :

مؤشر التدوير النموذجي السنوي = $(3 - \sqrt{3})$

ثانيا : إيجاد حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر

حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر = التمويل المصدر ÷ $(3 - \sqrt{3})$

ثالثا : إيجاد مؤشر كفاءة رأس المال العامل.

يبين الجدول التالي حساب حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر، حيث أن هناك تصفيات لبعض المضاربات في الأعوام (٢٠١٨–٢٠١٩–٢٠٢٠) في مؤسسة البحر الأحمر.

مؤشر حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر

المضاربات المسددة	الاموال تراكمى	العام	التمويل المصدر	مصادر التمويل	مؤشر التدوير	حجم مساهمة مصادر التمويل	جهات مصادر التمويل
	٦٧٠٠٠٠٠	٢٠١٣	٦٤٠٣٩٦٨	٦٧٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	٥٠٥٠٦٥٠.٣٢٤	بنك السودان والولاية
	١٢٧٠٠٠٠٠	٢٠١٤	٧٢٦٥٣٤٠	٦٠٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	٥٧٢٩٩٩٣.٠٠٢	بنك السودان
	١٧٧٠٠٠٠٠	٢٠١٥	١٠٧٤٠٥٦١	٥٠٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	٨٤٧٠٨١٣.٣٩٢	بنك السودان
	١٧٧٠٠٠٠٠	٢٠١٦	١٨٦٢٦٥٨٤	٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	١٤٦٩٠٣٢٣.٦٤	بنك السودان
	١٧٧٠٠٠٠٠	٢٠١٧	١٩١٠٨٩٦١		١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	١٥٠٧٠٧٦٢.٣٩	بنك السودان
٥٠٠٠٠٠٠	١٥٧٠٠٠٠٠	٢٠١٨	١٩٨٠٠٤٧٦	٣٠٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	١٥٦١٦١٤٣.٠٧	بنك السودان
١٠٠٠٠٠٠٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٠١٩	٢٠٠٨٠٤٠٥	٥٥٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	١٥٨٣٦٩١٦.١٢	سلفية الولاية
٣٠٠٠٠٠٠	١٥٢٠٠٠٠٠	٢٠٢٠	٣٣٧٤٨٤٧٦	٧٠٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	٢٦٦١٦٥٨٣.٨٥	سلفية الولاية
	٢٥٢٠٠٠٠٠	٢٠٢١	٤٩١١١٤٢٠	١٠٠٠٠٠٠٠	١.٢٦٧٩٤٩١٩٢	٣٨٧٣٢٩٥٥.٧٨	سلفية الولاية

المصدر : التقارير المالية لمؤسسة البحر الأحمر

وللتحقق نأخذ معلومات العام المالي لعام الافتتاح ٢٠١٣ :

مؤشر التدوير النموذجي السنوي = $(3 - \sqrt{3})$

مؤشر حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر = التمويل المصدر ÷ $(3 - \sqrt{3})$

جملة رأس المال = ٢٧٠٠٠٠٠٠

جملة مضاربة بنك السودان = ٤٠٠٠٠٠٠

الجملة = ٢٧٠٠٠٠٠ + ٤٠٠٠٠٠٠ = ٦٧٠٠٠٠٠

جملة المصروفات = ٣٦٦٥٧٦

جملة الايرادات = ٥٧٥٤١٤

التمويل المصدر لعام ٢٠١٣ = ٦٤٠٣٩٦١

رصيد النقدية في ٣١-١٢-٢٠١٣ حسب التقرير = ١٨٦٦٦٢٥

مؤشر التدوير النموذجي السنوي = ١.٢٦٧٩٤

مؤشر حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر

مؤشر حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر = ٦٤٠٣٩٦١ ÷ ١.٢٦٧٩٤ = ٥٠٥٠٦٤٤

البيان	المبلغ
جملة الاموال ٢٠١٣	٦٧٠٠٠٠٠
(-) حجم مساهمة مصادر التمويل في التمويل المصدر	٥٠٥٠٦٤٤
(-) جملة المصروفات	٣٦٦٥٧٦
(+) جملة الايرادات	٥٧٥٤١٤
رصيد النقدية في ٣١/١٢/٢٠١٣	١٨٥٨١٩٤

الانحراف = ١٨٦٦٦٢٥ – ١٨٥٨١٩٤ = ٨٤٣١ وهذا سببه عدم انتظام التمويلات الشهرية لأن مؤشر التدوير نموذجي.

قياس كفاءة تشغيل رأس المال العامل

دراسة حالة خاصة بقياس كفاءة رأس المال العامل

البيان	المبلغ
الرصيد النقدى اخر المدة ٢٠٢١	١١٤٢٥٣١٣
(+)الرصيد القائم اخر المدة ٢٠٢١	٥١٥٦٤٤١٧
(-)الالتزامات ٢٠٢١	٢٣٢٩٤٣٨٧
رأس المال العامل ٢٠٢١	٣٩٦٩٥٣٤٣

المصدر: التقرير المالي لمؤسسة البحر الأحمر لعام ٢٠٢١

أداء تشغيل رأس المال العامل فى مؤسسة التمويل الأصغر عام ٢٠٢١ = (التمويل المصدر ÷ ((٣– (٣)^ (٢÷١))) ÷ رأس المال العامل = ٣٨٧٣٢٩٥٥.٧٨ ÷ ٣٩٦٩٥٣٤٣ = ٩٧.٦٪

هدية العدد: كتاب – إضاءات في القانون الدولي

دراسة مقارنة وشاملة بين القانون الدولي والشرع الإسلامي

لمؤلفه: حمزة عبد الرحمن عميش

رابط التحميل

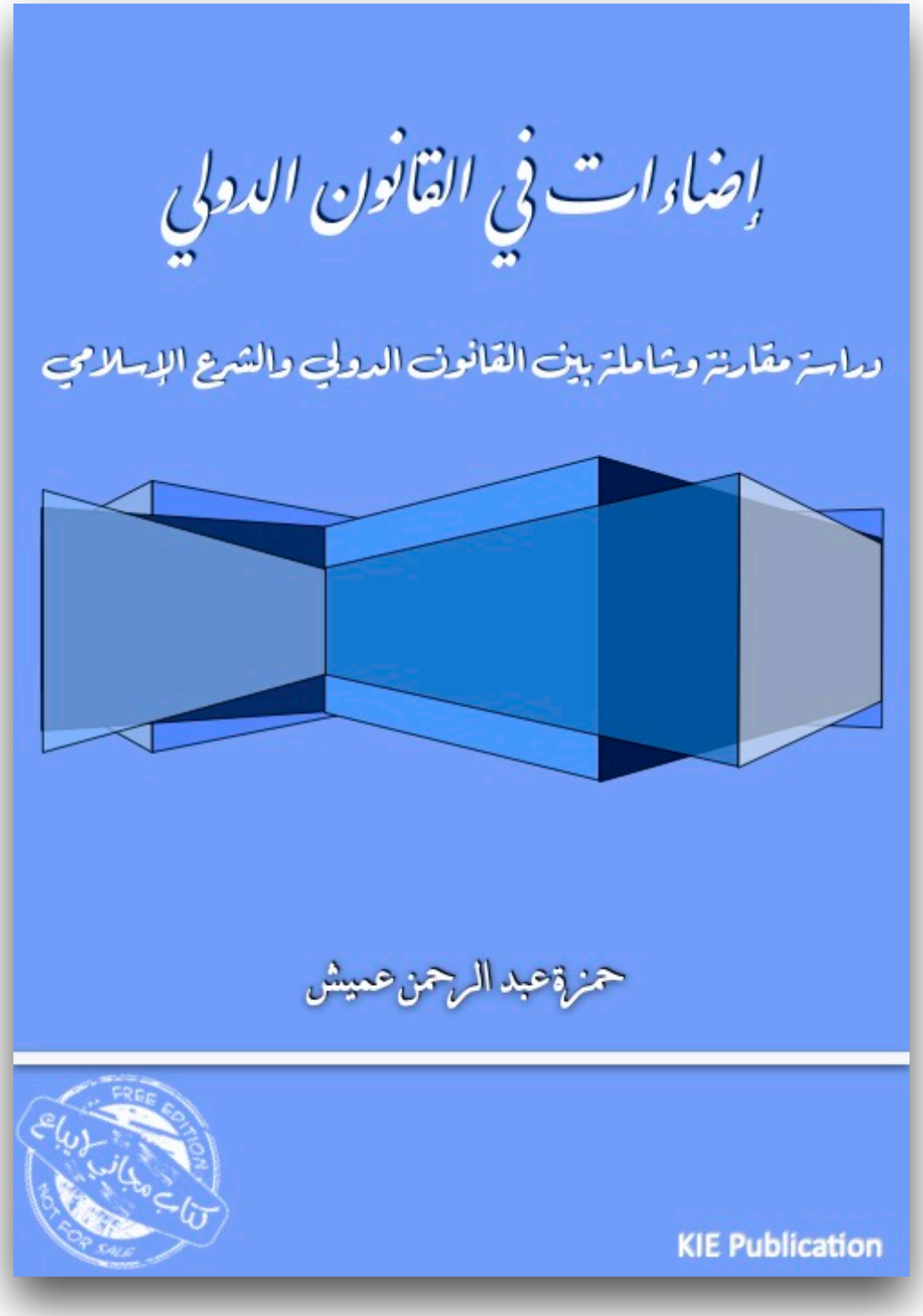

www.baitalzakat.com

بيت الزكاة

موسوعة علمية ثقافية متخصصة بالزكاة

هدفنا توفير بيئة متكاملة لخدمة الأكاديميين والباحثين في تخصص الزكاة ومحاسبتها.

تقديم خدمات حساب الزكاة وتدريب الأفراد وفق المعايير الإسلامية.

لسنا متخصصين بجمع الزكوات والصدقات والتبرعات وصرفها على المستحقين.

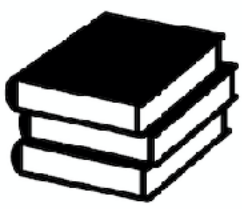

مكتبة الزكاة

حساب الزكاة

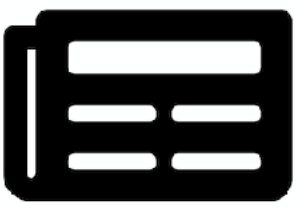

الأخبار الزكوية

التحكيم التجاري وتسوية النزاعات المالية

وفق ضوابط الشريعة الإسلامية

Commercial Arbitration and Financial Dispute Settling

بوابة للجلسات الإلكترونية للتحكيم وفض النزاعات المالية وتسويتها عن بُعد
إضافة إلى توثيق إلكتروني للجلسات

بعد الاتفاق على التحكيم أو تسوية النزاع، يمكننا تقديم الخدمات التالية:

- إعادة هندسة العقود والاتفاقات وفق ضوابط الشريعة الإسلامية.
- إعادة رسم العلاقات المالية وتحديدها بما ينسجم وضوابط الشريعة الإسلامية.
- إجراء التسويات المحاسبية بعد فض النزاع بما ينسجم ومعايير المحاسبة الإسلامية (الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية - الأيوفي).
- تطوير أسس العمل المحاسبي من خلال تقديم حلول تحافظ على انسيابية الأعمال وانضباطها الشرعي.
- تطوير أسس العمل التمويلي من خلال تقديم حلول المنتجات المالية الإسلامية.
- التحليل المالي وتقديم النصح والمشورة.
- المراجعة الشرعية وفق المعايير الشرعية (الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية - الأيوفي).
- المراجعة المحاسبية وفق معايير المحاسبة والمراجعة الإسلامية (الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية - الأيوفي).

https://arbit.kantakji.com

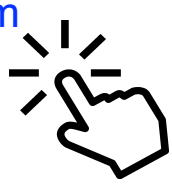

Global Islamic Economics Magazine

مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

giem.kantakji.com